مجلة شهرية

Issue No: 191 عدد:

July 2023 شهر تموز

نـــــور يسوع المسيح الرب المسيـــح

Φ Ω Σ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

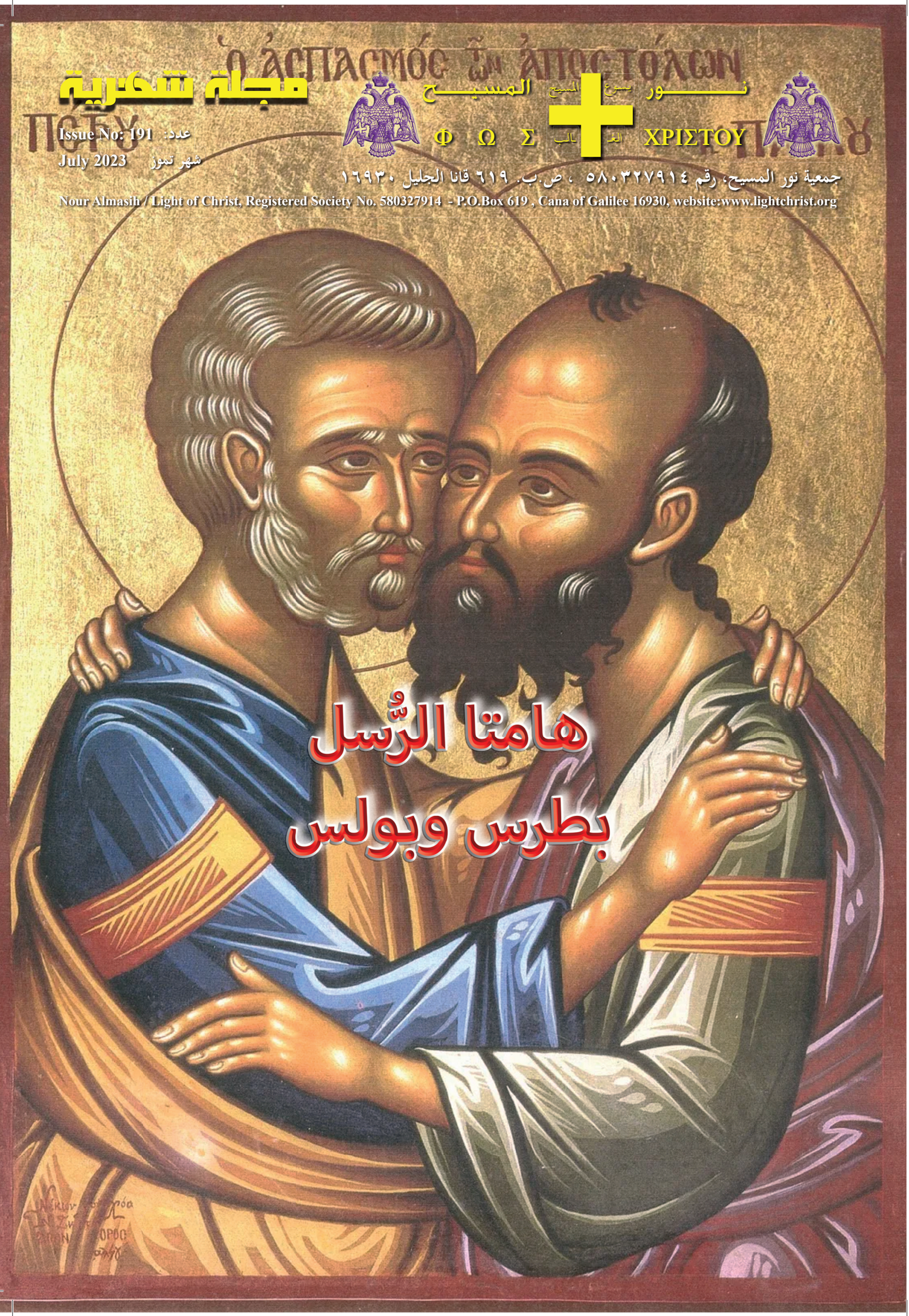

هامتا الرُّسل

بطرس وبولس

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد هامتي الرُّسل بطرس وبولس في كفرناحوم

(٢٩ حزيران شرقي، ١٢ تموز غربي ٢٠٢٢)

«لقد أشرقَ اليومَ للأقطارِ موسمٌ بهيجٌ. هو عيدُ الرُّسولَينِ الحكيمَيْنِ بُطرسَ وبُولسَ. هامتَي الرسلِ الموقَّرَين. ونحن نُعيِّدُ بالتسابيحِ والتَّرانيم. محتفِلينَ بهذا اليومِ المجيدِ وهاتفين: السلامُ عليكَ يا بطرسُ الرسولُ الصَّدِيقُ الصَّادِق. لمعلِّمِكَ المسيحِ إلهِنا. إفرحْ يا بولسُ المحبوبُ جدًّا. الكارزُ بالإيمانِ ومعلِّمُ المسكونة. فيا أيُّها الزَّوجُ المقدَّسُ المنتَخَب. بالدَّالَّةِ التي لكما، تشفَّعا إلى المسيحِ الإلهِ أن يُخلِّصَ نفوسَنا.» هذا ما يقولهُ ناظم تسابيح الكنيسة.

أيها الإخوة المحبوبون بالمسيح،

أيها الزوار المسيحيون الأتقياء،

إنَّ مواطِنَيِّ أورشليم العلويَّة بُطرسَ هامة الرسل صخرة الإيمان، وبولس خطيبُ **كنيسة المسيح**، قد جَمَعانا اليوم في هذه الكنيسة التي تحمل اسميهما في هذا الموضع والمكان المقدس في مدينة كفرناحوم التي ورد ذكرها في الكُتب المقدسة، لكي نعيِّد لتذكارهما المقدس.

لقد أصبح الرَّسولان بُطرس وبُولس آنيةً **للرُّوح القُدُس** كارزَيْن **بإنجيل المسيح الخلاصي** إلى أقاصي المسكونة، فقد امتازا بين الرُّسل القديسين المتساوين الذين دعاهم **الرَّبّ**. فإن اعتراف بطرس «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ.» (متى 16: 16) هو الذي جعل **يسوع** يجيبه قائلًا: «وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا.» (متى 16: 18).

وأمَّا كرازة وتعليم بُولس بعد معموديَّته مُباشرة - **على يَدِ حنانيا بعد وصوله إلى دمشق** - عن أنَّ **يسوع المسيح هو ابن الله** فقد كان حسب قول **الرَّبّ** لتلميذه حنانيا أنَّ شاول (بولس) مدعوٌّ منِّي لتبشير الأمم، وسيكون لي: «إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلَ اسْمِي أَمَامَ أُمَمٍ وَمُلُوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ.» (أعمال 9:15).

إنَّ كُلًّا من اعتراف بطرس المغبوط وكرازة الرسول بولس بأنَّ المسيح هو ابن الله الحيّ، لهما أهميَّة خاصة، وذلك لأنَّ المسيح لا يُعرف

ببساطة على أنَّهُ المسيّا فقط، بل بالأخص وقبل كُلِّ شيء أنَّهُ إله كامل مولود من جوهر الآب كما يقول ثيوفيلكتوس، وأمَّا القديس يوحنا الذَّهبي الفم فيقول: لقد اعترف بأنَّهُ ابن حقيقي. وأما زيغافينوس فيعلق قائلًا: لقد أدرك بطرس حقًّا أنَّ المسيح هو ابن الله بالطبيعة.

إنَّ هامتي الرسل هذان تلميذا المسيح، بُطرس وبُولس من خلال النعمة وقوة الرُّوح القُدُس قد اصطادا الأمم عبر شباكهما العقليَّة حتى يعرفوا الإله الحقيقي مُصْغِيَينِ وعامِلَيْنِ بما أوصاهُ يسوع المسيح: «اذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ» (متى 28: 19).

إنَّ الرُّسل الاثني عشر القديسين بشكل عام وزوجَي الرسل المغبوطَيْنِ بطرس وبولس بشكلٍ خاص، قد برزوا كأساس الكنائس التي تأسَّست في جميع أنحاء العالم، كما يقول الرسول بولس:« لِي أَنَا أَصْغَرَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، أُعْطِيَتْ هذِهِ النِّعْمَةُ، أَنْ أُبَشِّرَ بَيْنَ الأُمَمِ بِغِنَى الْمَسِيحِ الَّذِي لاَ يُسْتَقْصَى، وَأُنِيرَ الْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ شَرِكَةُ السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللهِ خَالِقِ الْجَمِيعِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ.» (أفسس 3: 8-9).

لقد أصبح المغبوط بطرس على معرفةٍ ويقين بِغِنَى الْمَسِيحِ الَّذِي لاَ يُسْتَقْصَى، شاهدًا بِعَيْنَيْهِ وأُذُنَيْهِ، وبإدراكٍ وإلمام، لحدث تجلِّي المسيح على جبل طابور المقدس، مُبَشِّرًا الكُلّ قائلًا: «لأَنَّنَا لَمْ نَتْبَعْ خُرَافَاتٍ مُصَنَّعَةً، إِذْ عَرَّفْنَاكُمْ بِقُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمَجِيئِهِ، بَلْ قَدْ كُنَّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ وَنَحْنُ سَمِعْنَا هذَا الصَّوْتَ مُقْبِلًا مِنَ السَّمَاءِ، إِذْ كُنَّا مَعَهُ فِي الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ.» (2بط1: 16-18).

ومن الجدير بالذكر أنَّ بطرس قد ترك الصَّيد، واقتبل الدعوة والإعلان الإلهي من السَّماء من الله الآب، عن تجسد كلمة الله، «فَأَجَابَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ وَقَالَ: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ!». فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا

لَمْ يُعْلِنْ لَكَ، لكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.» (متى 16: 16) . وأما بولس الرسول فقد «اخْتُطِفَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ، وَسَمِعَ كَلِمَاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا، وَلاَ يَسُوغُ لإِنْسَانٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا.» (2كور 12: 4)؛ إن هذه الأسرار اللاهوتيَّة الإلهيَّة التي لا يُنطق بها التي تفوق طور العقل والفكر، والتي هي الخبرة التي قد أخذها المغبوطَانِ بطرس وبولس. فمن جهةٍ قد بذرا في المسكونة بذار سِرِّ التقوى ومن جهةٍ أخرى أنارا الكنيسة كلّها.

فها قد اتضح لنا لماذا يُدعى زوجا الرُّسل المقدس بعمودَي الكنيسة وقاعِدَتَيْهَا، وكارِزَي الإيمان ومُعَلِمَيِّ المسكونة، لأنَّهُ كما يقول صاحب المزمور: «إلى كل الأرض خرج صوتهم وإلى أقطار المسكونة كلامهم» (مزمور18:5)، فها قد أدركنا لماذا الزوج المقدس المختار يُشكِّلان فخر الكنيسة. فمن الجدير بالذكر بأنَّ الكنيسة تفتخر بعمودَيْها وقاعِدَتيْها ألَا وهما بطرس وبولس، وذلك لأنَّهما يفتخران بصليب ربنا يسوع المسيح ولا سيِّما بولس الرسول الذي يبشّر بمجاهرةٍ وبامتيازٍ فريدٍ قائلًا : «وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ.» (غلاطية 6: 14)، وبحسب القديس يوحنا الدمشقي: إنَّ سلاح الصليب قد صار خلاصًا للمؤمنين وفخرًا لبولس. لهذا فإنَّ المرنم يهتف قائلًا: **بصليبك أيُّها المسيح حصلت رعيةٌ واحدة من الملائكة والبشر وكنيسةٌ واحدة. فالسماء والأرضُ تبتهجان فياربُّ المجد لك.**

حقًّا أيُّها الإخوة الأحبة إنَّ الكنيسة الواحدة كنيسة **ربنا ومخلصنا يسوع المسيح** السماويَّة والأرضيَّة تفرح وتبتهج، لهذا فنحن نهتف مع المرنم قائلين: السلام عليكما يا بطرس وبولس يا قاعدتَي العقائد الإلهيَّة الراسِخَتَيْن. فيا صَدِيقَي المسيح الإناءَيْن الكريمَيْن. أُحضرا بيننا حضورًا غير منظورٍ. وامنحا المواهب غير الهيوليَّة للذين يمتدحون عيدكما بالأناشيد. آمين.

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

التَّوبة هي دعوة مستمرّة ويوميَّة من الله للإنسان! «**توبوا**» كلمة ذات بُعدٍ زمنيّ، هي دعوة على مدى العصور ولكلِّ البشر! التّوبة كدعوة من الله نحو البشر لها أهميَّة عظيمة لأنّها الطريق الوحيد الذي يؤدّي إلى الخلاص والشَّركة معه.

التَّوبة هي التعبير الوحيد عن حرّيّة الإنسان، لأنَّ الحريَّة الحقيقيَّة هي بالعيش مع الله.

التَّوبة تشكِّل عنصرًا أساسيًّا للنَّقاوة والطَّهارة.

التَّوبة تجعل الإنسان يتصرَّف عكس آدم الذي رفض التَّوبة وحتّى الاعتذار! أراد آدم أن يكون مثل الله، وأن يتألَّه بسرعة.

التَّوبة هي العمل للوصول إلى الكمال والتألُّه بالنعمة. هو عمل مستمرّ وغير منقطع.

التَّوبة جهاد مستمرّ، لا يحصل بسرعة، جهاد مستمرّ في خِضَمِّ الحياة الروحيَّة. الإنسان كونه يُخطئ باستمرار، عليه أن يتوب دائمًا، أنْ يُنقّي نفسه ويطهِّرها، أنْ يحفظها دائمًا نظيفة مدى حياته على الأرض. بهذا العمل، عمل التّوبة، يتجدّد الإنسان ويُجدِّد معموديَّته.

التَّوبة تُؤمِّن تجديد العلاقة مع الله ، وحياة الشركة مع الرَّبِّ تتحقّق فقط من خلال التَّوبة، لأنّها تملك القوَّة على إعادة العلاقة والتواصل الذي قُطع بين الله والإنسان بسبب الخطيئة وفِعلها.

عدم **التَّوبة** لا يبعدنا عن الله فقط، بل يجعلنا غير قادرين على معرفة أنَّنا بشر.

التَّوبة والخلاص هما عنصران متلازمان ولا ينفصل أحدهما عن الآخر.

التَّوبة لها صفة شخصيَّة، إنّها خاصَّة لكلِّ فردٍ منَّا ليس فقط من ناحية اتخاذ الإنسان لقرار التَّوبة ولكن، من جهة الهبات التي يعطيها الرَّبُّ المحبُّ البشر للإنسان التائب كتأكيد على «الجهاد» الذي يبذله في سبيل التّوبة.

جوهر **التَّوبة** هو أن يُقرِّر المؤمن أن ينزع منه وُثُقَ الخطيئة! فتصبح التّوبة ضروريّة عندما يرجو الإنسان أنْ تحلَّ عليه بركة الرَّبِّ ورحمته. عندها وعلى هذا الرجاء، يُغدق الله على التائب رحمتَهُ ويطهِّره وينير عقله ويجعله إناءً قابلًا للنور الإلهي وشريكًا للألوهَةِ.

نتيجة لعمل **التَّوبة** ينصُب الرَّبُّ خيمته فينا ويحلُّ بيننا ويتكلَّم معنا كأصدقاء، وأكثر من ذلك، يتحقَّق في الشَّخص التَّائب قول القدِّيس يوحنا الإنجيلي: «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ.» (يو١:١٢) ، فمن الآن يتذوّق التائب الخلاص الذي يجاهد أن يكتسبه ويتوق إليه.

استوى **الشيخ (بيروندا‌س)** على كُرسيّ قرب الموقد يستدفئ، فيما أخذ **الشابّ استفانوس** يضع بعض قطع من السكر في فنجان الشاي، ويقدّمه باحترام شديد إلى **الشيخ (بيروندا‌س)**، وهو يقول:

— يا **أبي القدّيس**، لديّ سؤالان يتردّدان كثيرًا على خاطري، وكم أودّ لو أجد لهما جوابًا شافيًا.

— ابتسم **الشيخ (بيروندا‌س)**، وقال: هاتِ ما لديك.

السؤال الأوّل: لماذا لا يستجيب الله لطلباتنا أحيانًا؟

والسؤال الثاني: هل تجري معجزات في زمننا الحاضر؟

— زفر **الشيخ** متنهّدًا، وقال: آه، يا بُنيّ، إنَّ هذين السؤالين يثيرانني جدًّا، ولذلك لا بُدَّ أنْ أوضّح لك أمرًا في غاية الأهمّيَّة: لكي يستمع الله لك، يجب أن تسمع، أنت أيضًا له. فأنت عندما لا تستمع إلى صوت الرَّبِّ، أو بالأحرى لا تُطيعه، فكيف ترجو إذًا، أن يستجيب هو لصلواتك ويُلبِّي لك احتياجاتك؟!! إنّي أتساءل، وأرجو أن تتساءل، أنت أيضًا معي: هل نسمع نحن نداء لله لنا؟ وإن كُنَّا، فعلًا نسمع له، حقٌّ لنا أن نتساءل لماذا لا يستمع هو لنا؟! ولكن ما يحدث، يا بُنيَّ، أنّنا لا نصغي إلى لله ولذلك، هو بالمقابل لا يسمع صوتنا، وهذه هي العلَّة الأساس لعذاباتنا وآلامنا. وأرجو أن تنتبه هنا، إلى أنّي أعني بكلمة إصغاء الطاعةَ لوصاياه.

إنّ عدم طاعتنا **للمسيح**، للكنيسة، للشريعة الإلهيّة، للإنجيل المقدّس، مردّه عدم تقوانا وقلّة إيماننا، بالإضافة إلى استهزائنا وسخريَتنا من الحياة المسيحيَّة بعامَّةٍ. ولكنّ الله هو الوحيد الوحيد الذي لا يُستهزَأ به، وهو الوحيد الوحيد أيضًا، الذي لا يُضحَك عليه ولا يُخدَع.

يطيلُ الرَّبُّ يسوع أناته وينتظر ويتمهّل ويُمهِل. بيد أنّنا لا نكفّ عن الخطأ، ولذلك تنتظرنا من دون أدنى ريب، نار تلتهمنا وما جمعناه من مادّيَّات. تشبه الحياة الزمنيَّة الحاضرة القشّ السهل الاحتراق، وأعني بذلك **الخطيئة المتفشّية في النفوس**، هذا القشّ الذي سرعان ما تذريه ريح الرَّبّ، فلا يتبقّى لنا منه سوى دينونة قاسية لا ترحم!

فهل يلمس الله طاعتنا لكي يستجيب هو أيضًا، لطلباتنا. بل وأتجاسر على القول لكي يطيع طلبنا، ويُلبِّي احتياجاتنا؟ هل تنتظر منه أن يعتقنا من أمراضنا المزمنة المستعصِية، أو أن ينقذنا من وعيد الحروب الفتَّاكة المدمِّرة، أو أن ينجِّينا من الجفاف أو الجوع أو العطش سواء للإنسان أو للحيوان؟!

ماذا يجد الرَّبّ في كلّ فرد منَّا؟ في عائلاتنا؟ في مجتمعنا؟ في كنيستنا؟ الكلّ يجري خلاف ما يريد، والجميع يعيشون عكس ما يشتهي. إنَّه لا يجد **سوى العصيان** في كلّ مكان. فلا أحد نعم لا أحد، يعمل الصلاح كما حدَّده هو في إنجيله المقدّس، أو ما ثبَّتته الكنيسة القويمة الرأي. وهذا بالضبط، ما تَرنَّم به يومًا، صاحب المزامير حين قال: «أطلّ الربّ من السماء على بني البشر ليرى هل من فاهم أو طالب لله. ضَلُّوا كلُّهم جميعًا وتدنَّسوا. ليس من يعمل صلاحًا كلًّا ولا واحد» (مزامير ١٣: ٢-٣).

الشباب اليوم لا يريدون أن يسمعوا شيئًا عن المسيح أو عن الكنيسة، لأنّهما يكشفان لهم اعوجاجهم بقولهما: «لا يليق أو لا ينبغي» لِما يتصرّفونه في حياتهم سواء المادّيّة منها أو الشهوانيّة أو الجسديّة.

أولادنا اليوم يتخوَّفون كثيرًا من سماع أيّ شيء عن المسيح أو عن تعاليمه، وعندما يكبرون قليلًا، ويجتازون إلى المرحلة الثانويَّة، يزداد تخوّفهم، فيبتعدون عن الله لئلَّا تمسي هذه التعاليم حواجز لهم حيال رغباتهم وغرائزهم.

كم من رجالٍ، في هذا العصر، يؤثرون الحياة الدنيويَّة **بمغرياتها كلّها**، خاضعين لشهواتهم الجسديّة من دون أدنى رادع، ومفضّلين مصالحهم الشخصيَّة على حياتهم الرُّوحيَّة. عادت الكنيسة بالنسبة إليهم غير ضروريّة، إنّها لا تروق لهم و«ليست على مزاجهم»؛ إنَّها ثقيلة. ولذلك، فهم يفضِّلون قضاء أوقاتهم إمَّا بصيد الأسماك أو الركض هنا وهناك، وراء اصطياد الطُّيور، أو يعرّضون أبدانهم لحمَّامٍ شمسيّ، أو ينطلقون في نزهة جميلة سواء بحريَّة كانت أو برِّيَّة، هذا كلّه على حساب التردُّد إلى

الكنيسة ليؤدّوا الشُّكر للهِ الذي أغدق عليهم بعطاياه في الأسبوع الفائت، وأن يتوسَّلوا إليه ليبارك لهم أسبوعهم الجديد المقبل. ماذا نقول؟ إنّهم يستكينون لتجديفهم وبذاءتهم وتصرّفاتهم غير اللّائقة والعديمة الحشمة والأدب.

كذلك الحال بالنسبة إلى زمرة من النساء اللّائي يرغبن بدورهنَّ، أن يعشِنَ حياتهنَّ الخاصَّة من دون الله، بعيدًا عن الكنيسة وأسرارها، غارقات في متاهات اللذّات، معتبرات الزِّنى أمرًا مُشرَّعًا ومبدأ أساسًا لحياتهنَّ.

وهكذا نجد أنَّه لا الشَّباب ولا الأولاد ولا الرجال ولا النساء ينتمون إلى الجماعة المسيحيَّة الحقَّة التي تهدف إلى العيش بخوف الله. إنَّهم يتحاشون التحدُّث عن الله، لأنَّ الحديث عنه «موضة قديمة، حديث مملّ، لا مكان له في اجتماعاتهم الصاخبة». ورغم هذا كلّه، فالرَّبّ لا يفتأ يقول لهم: «يا أولادي، أنا حاضر، أنا أنتظر دعوتكم، وأنا مستعدٌّ لأهرع إليكم أن ناديتموني».

والآن، ما هو جواب الرَّبّ، برأيك، إزاء هذا جميعه؟ وأيّ أُذُنٍ تَميلُ لتسمع ابتهالنا أو طلبنا؟ وكيف سينصت الرَّبُّ إلى صوت تضرّعنا نحن عادمي التُّقى؟

ما هو برأيك، موقف الرَّبّ من فتاةٍ شابَّة جميلة تظهر أمامك في الشارع، أو حتّى في الكنيسة، وهي نصف عارية؟ وماذا سيقول الرَّبّ عن شباب مستهتر جانح نحو السيِّئات، وقد نَسِيَ أن يقصَّ شعر لحيته، فتركها بلا ترتيب ولا نظافة؟ وكيف ينظر الرَّبّ إلى المجدِّفين المُلْحِدِين، الذين يسمِّمون عقول الكبار والصغار على حدٍّ سواء؟ أتراه لا يئنّ على الخاضعين للذَّات الجسديَّة الذين يُشرِّعون الحرام ويحلِّلون البَغاء؟ ألا يتأسَّف لحال المسنِّين المتراخين اللّاهين عن قضاء آخر أيَّامهم بتوبةٍ وصلاة؟ ألا يُدمِّع أمام بيوت الزِّنى والعَهارة؟ وماذا سيقول على الأزواج الذين يرفضون إنجاب الأطفال لأنَّهم «لا وقت لديهم لتربيتهم»؟ وماذا سيقول، أيضًا، عن الإكليريكيِّين الذي استبدلوا لباسهم الوقور بآخر علمانيّ، حتّى بِتَّ لا تعرف الكاهن من الشخص العاديّ؟

أين هي البتوليَّة؟ أين هو التعقُّل؟ أين هو الإمساك؟ أين هو الصوم؟ أين هي الصلاة؟ أين هو الزواج الطاهر كَسِرٍّ مقدَّس؟ أين هي المحافظة على العائلة كجَسَدٍ مُصغَّر لجسد المسيح، الكنيسة؟ أين هو الاعتراف، وأين هي التوبة؟ أين هو الالتزام الكنسيّ والمناولة المقدّسة؟ أين هو احترام التقليد الكنسيّ من قبل الإكليريكيِّين والشعب سواء بسواء؟

أتطلب بعد هذا كلّه، أنْ يرحمنا الرَّبّ؟ أتطلب أنْ يُنعم علينا بأمطارٍ أيَّام القحط والجفاف؟ وهل تطلب أنْ يحمل عنَّا أمراضنا ويرثي لضعفاتنا، أو أن يحلَّ السَّلام على أرضنا، أرض الشَّقاء هذه؟

أظنُّ يا ولدي، أنَّ اللهَ مُحقٌّ إنْ لم يَستَمِع لأصواتنا ولِطلباتنا، لأنَّنا نحن أرغمناه على ذلك. هو رحيمٌ بطبعه، ولكنَّه ديَّان عادل أيضًا، ولذلك يجيبنا على لسان سليمان الحكيم قائلًا:

«إلى متى أيُّها الأغرار تحبُّون الغرارة، والسارون يبتغون السخرية، والجهَّال يبغضون العلم. ارتدُّوا لتوبيخي، فإنِّي أفيض عليكم من روحي وأعلِّمكم كلامي. لكن إذ قد دعوت فأبيتم ومددت يدي فلم يكن من يلتفت، واطّرحتم كلّ مشورة منِّي، وتوبيخي لم تقبلوه، فأنا أيضًا، أضحك عند عطبكم، وأستهزئ عند حلول ذعركم. إذا حلّ كعاصفة ذعركُم، ونزل عطبكم كالزوبعة، وحلّ بكم الضيق والشدَّة، حينئذ يدعونني فلا أجيب. يبتكرون إليَّ، فلا يجدونني بما أنَّهم مقتوا العلم، ولم يؤثروا مخافة الرَّبّ، ولم يقبلوا مشورتي، واستهانوا بكلِّ توبيخ منِّي. فيأكلون من ثمرة طريقهم، ومن مشوراتهم يشبعون. إنَّ ارتداد الأغرار يقتلهم، وترف الجهال يهلكهم، والسامع لي يسكن في دعة مطمئنًّا من ذعر السوء» (أمثال ١ : ٢٢-٣٢).

وأمَّا عن السؤال الآخر، فاعلم، يا ولدي، أنّه في هذه الأيّام تُعتبَر معجزة كبرى إنْ أصبح المتكبِّر متواضعًا، والظَّالم عادلًا. وإنْ استحال الكاذب صادقًا، وتوقَّف محبّ السُّكر عن شرب الخمر. وإن رمى لاعب القمار بورق اللعب بعيدًا، وتحوَّل المجدِّف إلى مؤمن صادق. وإن صار عابد المال كوثن إلى محسن كريم، وتوقّف مختلق الوشايات عن اختلاق الشرور والأكاذيب. إنْ علَّم البذيء الكلام لسانه كلام الأدب والتهذيب، وإنْ تسربل عديم الحشمة الاحتشام والوقار.

وتبقى المعجزة كبرى، في عصرنا هذا، أن يحافظ شبابنا على براءتهم وطهارتهم، وأن ينقلب الشابّ المنحلّ أخلاقيًّا ابنًا للرَّبّ بالحقيقة وكما ينبغي، وأن يتحوَّل الخاطئ إلى صاحب فضيلة.

وتكون معجزة كبرى أيضًا يا ولدي، إن أحببت من يسيء إليك، وإن رحمت من يذنب إليك، وإن سامحت من يقتل لك أخاك أو أباك أو ولدك. المعجزة الكبرى هي أن يتوب الزَّاني عن نجاسته، ويعود مرتكب القبائح والشَّهوات الجسديَّة إلى حضن الله، ويحتمي تحت ظلّ جناحيه.

من الممكن أن تكون أنت بالذَّات، المعجزة الكبرى عندما تُغيِّر مسيرة حياتك من مسيرة سيِّئة إلى طريق صالحة. لا بل من إنسان مسيحيّ لاهٍ غير مبالٍ متراخٍ إلى إنسان آخر حيٍّ حارٍّ العبادة عبر ممارسة الاعتراف والمناولة بتواتر، وقراءة الكتاب المقدّس باستمرار، والتزام كنسيّ جادٍّ، وصلاة حارَّة في منزلك صباحًا ومساء.

ولكن يا ولدي، يبقى السؤال الأهمّ: هل ستقوم بهذا كلّه وتتعهّد به؟ ما قولك في هذا؟ أرجو أن يكون جوابك إيجابيًّا، فتجد الله، ويجدك هو، لتعيش معه إلى الأبد ابنًا صالحًا رَضِيًّا. ■

إنَّ معرفة الأطباء لا تنحصر فقط في معالجة الجراح الخارجيَّة الظاهرة في الجسد، بل أنهم يقيسون النبض ليعرفوا الأمراض الداخليَّة غير المنظورة في القلب، والأحشاء وغيرها من الأعضاء التي تعمل في الجسم البشري، فيتمكنونَ مِنْ علاجها. على المنوال نفسه، أيُّها الأب الرُّوحي، لا يكفيك أنْ تعرف فقط كيف تُعالجَ الأهواء الخارجيَّة في النفس، أي الأعمال والأفعال االمُسَبِّبَةَ بالخطيئة، بل ضروري أيضًا أن تتعرَّف، من خلال اعتراف التائب، إلى جراح نفسه الداخليَّة التي هي الأهواء المختبئة في قلبه والأفكار الشهوانيَّة الشِّريرة، حتى تعالجها بتمييز واهتمام كبيرين. لهذا السبب، افتكرنا أنَّه من الحسن أن أخبركم قليلًا عن بعض الأمور العامة والأساسيَّة في ما يتعلّق بالأفكار.

كم نوع هي الأفكار؟

إعرَفْ إذًا أيُّها الأب الرُّوحي أنَّ الأفكار بشكل عام، هي ثلاثة أنواع: البعض حَسَن، البعض فارغ وتافه، والبعض سَيِّء. بالنسبة للأفكار الحسنة، ما من حاجةٍ لنناقش هنا كيف تنشأ ومن أيِّ أوجهٍ للنفسِ، كوننا راضين بأن هذه الأفكار حسنة وبالتالي مفيدة وخلاصيَّة للنفس. نقول هذا فقط، أيُّها الأب الرُّوحي، أنَّه إذا قال لك أحد ما خلال الاعتراف بأن أفكاره حسنة، ينبغي أن تنصحه بأن ينتبه ويتواضع وألَّا يثق بنفسه ويتفاخر:

١) لأن الإنسان من ذاته عاجز عن عمل الخير وحتّى عن التفكير بأفكار حسنة من دون **قوة الله ومعونته**: « لَيْسَ أَنَّنَا كُفَاةٌ مِنْ أَنْفُسِنَا أَنْ نَفْتَكِرَ شَيْئًا كَأَنَّهُ مِنْ أَنْفُسِنَا، بَلْ كِفَايَتُنَا مِنَ اللهِ» (٢كور ٣:٥).

٢) لأنَّ الشيطان بارعٌ وشريرٌ جدًّا حتى أنَّه يستخرج الشَّر من الخير ومن خلال الأفكار الحسنة يرمي غير الحذرين في الغرور والوهم والغطرسة، التي منها يأتي خراب النفس وموتها. هكذا يقول بولس: «الْخَطِيَّةُ. لِكَيْ تَظْهَرَ خَطِيَّةً مُنْشِئَةً لِي بِالصَّالِحِ مَوْتًا» (روما ٧:١٣).

٣) لأنَّ الإنسان لا يبقى في حالة واحدة، بل هو يتغيَّر كثيرًا وبسرعة يتبدَّل، حتى أنَّه بأفكاره، يكون في لحظة ما في الفردوس وفي أخرى في الجحيم، بحسب ما يقول أحد القديسين. ويقول القديس اسحق السوري: «بالفكر نتقدّم، وبالفكر نصير غير نافعين»، من هنا أنَّ الذي مَن أفكاره حسنة اليوم، قد تكون شريرة غدًا.

٤) أخبرهُ أنَّ **حسد الشيطان** يكون أكبر، وحربه أكثر شراسة على أصحاب الأفكار الحَسَنة، حتى يكون أشَدَّ خوفًا على نفسه وأَحرصَ عليها.

ما هي الأفكار الفارغة وكيف نصلّحها؟

هذه هي الأفكار التي ليس الخلاص، خلاص النفس كما خلاص الأخ، هدفها وغايتها. إنَّما الأفكار التي لا تهتمّ بالمتطلبات الضروريَّة لجسدنا وتركيبته بل بالأمور الكماليَّة والأشياء غير الضروريَّة، حتى ولو كانت حسنة، لذا هي أفكار فارغة وتافهة. بحسب القانون الصغير للقديس باسيليوس الكبير، تنشأ الأفكار التافهة الفارغة من كسل الفكر غير المنشغل في الأمور الضروريَّة أو غير المؤمن بأنَّ الله حاضر ويفتش قلوبنا وأفكارنا: «يأتي الزيغ الفكري من كسل العقل غير المنشغل بالأمور الضروريَّة. فالعقل يكون كسولًا وغير مبالٍ من نقص الإيمان بحضور الله الذي يفحص الكِلَى والقلوب... إن الذي يفعل هذا أو ما شابهه لن يجسر على التفكير، أو لن يرتاح للتفكير، في تلك الأمور التي تفضي إلى تهذيب الإيمان، حتى ولو بدت حسنة». أقول بالنسبة للأفكار التافهة الفارغة، بأن تنصح التائب بألَّا يسمح لفكره بالتأمّل أو الاستغراق فيها:

١) إذ كما أنَّنا سوف نُقدِّم حسابًا عن الكلام الفراغ في يوم الدينونة على ما يقول الرب: «وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَابًا يَوْمَ الدِّينِ.» (متى ١٢:٣٦)، كذلك سوف نقدّم حسابًا عن الأفكار الفارغة والتافهة وبالحقيقة، عمَّا إذا كُنَّا تركنا فكرنا طوعيًّا يغرق فيها. وهذا واضح إذ إنَّ الرَّبّ يُقَرِّع ويدين العبيد الكسالى «لِمَاذَا وَقَفْتُمْ هُهُنَا كُلَّ النَّهَارِ بَطَّالِينَ؟» (متى ٢٠:٦).

٢) لأنَّ هذه الأفكار الفارغة تمنع عنَّا الأفكار النافعة الخلاصيَّة التي قد تكون لنا بدلًا منها.

٣) لأن هذه الأفكار الفارغة هي بحدِّ ذاتها شرِّيرة، كونها توقف الخير وبداية الشَّر، وهي تفتح الطريق **للشيطان** وتعطيه الإذن لينثر في عقلنا المتكاسِل بذار الأفكار الشَّريرة. هذا ما يؤكده غريغوريوس اللاهوتي: «فليُقضَ على الشَّر وسببه الأول أي الشيطان. إذ فيما

نحن فارغون يزرع فينا الشّرير بذاره لكي يكون إهمال الخير بداية للشر، مثلما أن بداية الظلام هي انحسار النور».

سبب الأفكار السيئة

أعرف أنَّ الأفكار السيئة تأتي بشكلٍ عام من سببين، الأول خارجي والثاني داخلي. السبب الخارجي للأفكار السيئة هو الأشياء التي تحسّها الحواس الخمس، أي تلك الأشياء التي تُسمَع وتُرى وتُشَمّ وتُذاق وتُلمَس، مثل المناظر المسرحيَّة السيئة، الكلمات البذيئة والأغاني المثيرة للشهوات، الروائح والعطور، المآكل المغرية والأشربة اللذيذة، الثياب المرهفة الناعمة والفراش المريح. كل هذه الأشياء تسبب الأفكار الشهوانيَّة (ηδονιστικος-hedonistic) أي اللذات في النفس، ومن ثمّ الأفكار الخاطئة الحاملة للموت. لهذا، يقول النبي إرمياء من جهة: «لأَنَّ الْمَوْتَ طَلَعَ إِلَى كُوَانَا» (إرمياء ٩:٢١)، **الكوى تعني الحواس الخمس**. من جهة أخرى، فَسَّرَ القديس غريغوريوس اللاهوتي هذا القول بعبارات أوسع: «وهو يُحفَظ إلى اليوم الخامس (أي الحمل الفصحي المبارَك)، ربما لأن الضحيَّة، التي أحكي عنها، تطهر الحواس الخمس التي منها يأتي الوقوع في الخطيئة والتي حولها تدور الحرب بقدر ما هي مستباحة لدوافع الخطيئة».

الأسباب الداخلية للأفكار السيئة

الأسباب الداخلية للأفكار السيئة هي أربع:

١) الخَيال الذي مثل أيِّ حاسة أُخرى، يتلقَّى ويسجِّل كُلّ الصور والتخيلات التي تدخل عبر الحواس الخمس أي من الأشياء التي تُلمَس وتُذاق وتُشَمّ وخاصة التي تُسمَع وتُرى، وهو يسمَّى حِسًّا داخليًّا لأنَّه يُصوِّر الأشياء المحسوسة بشكلٍ ضخم وواضح جدًّا مثل الحواس الخارجية. إنَّه حِسٌّ مشترَك، بحسب أرسطو، لأنّه يتلقَّى على نحو مشترَك خبرات كُلّ الحواس؛ وهذا طبيعي، إذْ كما أنَّ الخطوط تكون منفصلة على محيط الدائرة لكنها تتلاقى عند مركزها، كذلك هي الحواس الخمس غير المترابطة في الخارج تتجمّع في مخيِّلة النفس ولكن من دون تشابك. إذًا من الخيال تتولَّد الأفكار السَّيئة في النفس فتجعلها تحسّ بهذه الأفكار وكأنها حاضرة فعليًّا، وتصوِّر عقليًّا، في الذاكرة، هذه الأفكار التي لم ترَها حِسِّيًّا ولم تسمعها أو تشمّها أو تتذوقها أو تلمسها، حتى ولو كانت حِسِّيًّا بعيدة عنها ساكنة بسلام في مكان منفرد. لهذا السبب، يقول اللاهوتي في قصيدته الرُّباعية على البحر العميق: «أتتني رؤيا، لكنها فُحِصَت، لم أجد فيها شبحًا للخطيئة. هل وُجد شبح؟ فالخبرة تُبطَل. هذه هي درجات خديعة العدو». أتسمع؟ إنّه يقول أنَّ شبح الخطيئة لم يُترَك ولم يُسَجَّل في المخيِّلة. هربت النفس بسرعة من الخبرة، أي أنَّها فرَّت من قبول الأفكار ومن ارتكاب الخطيئة.

٢) الأهواء هي أحد أسباب الأفكار السَّيئة، التي هي بالإجمال اثنتان: المحبة والكراهيَّة، أو اللذة والألم، كوننا نتحرَّك عاطفيًّا إمَّا لأنَّنا نحب أمرًا ما باعتباره سارًّا، أو لأنَّنا نكرهه باعتباره مؤلمًا. بشكلٍ خاص، الأهواء تنقسم إلى ثلاثة أوجه للنفس: **العقلي، الشهواني، والغضبي**. أهواء العقل، بحسب القديس غريغوريوس السينائي، هي عدم الإيمان، التجديف، الذَّمّ، الفضول، ازدواجية الفكر، الثرثرة، محبة الإطراء، الخيلاء، الزهو، وغيرها. أهواء الوجه الشهواني هي الفسق، الزنى، الإثم، الطمع، الفساد، الفجور، محبة اللذة، محبة الذَّات، وغيرها. أهواء الوجه الغضبي هي الغضب، المرارة، الصياح، الوقاحة، الانتقام، وغيرها. من هذه الأهواء في النفس تولد الأفكار السَّيئة عمومًا وبشكلٍ مباشر، منقسمة إلى ثلاث فئات مثل الأهواء. من أهواء الجزء العقلاني تأتي الأفكار السَّيئة التي تُسمّى عامَّةً بأفكار التجديف. من أهواء الجزء الشَّهواني تأتي الأفكار الدَّاعرة. ومن أهواء الجزء الغضبي تأتي الأفكار الشَّريرة. لهذا السبب قال القديس غريغوريوس السينائي: «الأهواء هي سبب الأفكار»، يسمِّي الأنبا اسحق الأهواء «مغتصبين» لأنَّهُمُ يهاجمون النفس من الداخل ويثيرون الأفكار الشَّهوانيَّة.

٣) **الشياطين** هم سبب داخلي وأساسي للأفكار السَّيئة، فهؤلاء الملاعين، كونهم أرواحًا خفيفة وموجودين خارجيًّا حول القلب، يتكلَّمون هناك بإيحاءات داخليَّة ويهمسون بهدوء بكل الأفكار الكُفريَّة والدَّاعرة والشِّريرة، وببساطة بكُلِّ الأفكار السَّيئة. إنَّهم يحشُون المخيِّلة **بأوثان الفحش والقذارة** من الحواس، في نوم الإنسان كما في يقظته. من هؤلاء (**الشياطين**)، تتحرّك الأهواء المذكورة آنفًا في أوجه النفس الثلاثة، وتُحوِّل النفس البائسة إلى كهف لصوص وَحيٍّ قذر للأهواء. لهذا السبب يقول غريغوريوس السينائي: « المناسبات تقود إلى الأفكار، الأفكار تقود إلى الخيالات، الخيالات إلى الأهواء، والأهواء تُدخِل الشياطين... لكن أيًّا من الأشياء في هذا التسلسل ليس آليًّا: فالشياطين تلقنها كلها وتفعّلها. الخيال لا يتشكَّل في صورة، والهوى لا ينشط، من دون التحفيز الشيطاني غير الملحوظ»، وفي مكان آخر يقول: «الأفكار هي تلقينات الشياطين ونذائر الأهواء».

بالتوافق مع هذا، يقول القديس اسحق: «ومع ذلك، أنا أتمسَّك بحقيقة أنَّ فكرنا، من دون وساطة الملائكة القديسين، قادر من نفسه على الميل نحو الخير من دون تعليمات؛ من جهة ثانية، حواسُّنا (الداخلية) لا يمكنها أن تعرف الشَّر أو أن يحرضها الشَّر من دون وساطة الشياطين».

٤) سبب داخلي للأفكار، مع كونه بعيدًا، هو وضع الطبيعة البشريَّة الشَّهواني الفاسد الناتج عن الخطيئة الجدِّيَّة. بحسب اللاهوتيين، يبقى هذا الوضع في طبيعتنا حتّى بعد المعمودية، ليس كخطيئة موروثة (**كونها قد رُفعَت بالمعمودية، بحسب القانون ١٢٠ من مجمع قرطاجة**)، بل كنتيجة للخطيئة الجدِّيَّة، لتفعيل وامتحان إرادتنا الحرَّة، وكمقابل للتيجان والمكافآت العظيمة. فبعد السقوط، خسر العقل ذاكرته البريئة وفكره الذي سبق أنْ ثبَّته سابقًا على الخير فقط، فإذا به يتشتَّت مباشرة فيفكِّر بالشَّر. لهذا السبب قال غريغوريوس السينائي: «مصدر أفكارنا وأساسها هو حالة ذاكرتنا المشَظَّاة. الذاكرة كانت أصلًا بسيطة ومركَّزة، لكن كنتيجة للسقوط فسدت قواها الطبيعيَّة: خسرت رباطة جأشها بالرَّبِّ وصارت مُركَّبة بدل البساطة، منهمكة في أعمال متباينة بدل التركيز». ■

«أيُّها الرَّبُّ وسيِّد حياتي أَعتقني من روح البطالة والفضول، وحبّ الرئاسةِ والكلام البطَّال، وأنعِم عليَّ أنا عبدك الخاطئ بروح العفَّة واتضاع الفكر والصبر والمحبة، نعم يا ملكي وإلهي هَبنِي أن أعرف ذنوبي وعيوبي وألَّا أدين إخوتي، فإنَّكَ المبارك إلى الأبدِ، آمين.»

عن الكآبة

ملحوظة: لا يذكر نَصُّ الصلاة باللغتين اليونانيَّة والعربيَّة «الكآبة» بل «الفضول»، بينما في النص السلافوني الذي يعلِّق عليه القديس لوقا تَرِد «الكآبة» بَدَلًا من «الفضول»؛ معالجة القديس لموضوع الكآبة مفيدةٌ جدًّا ومناسبَةٌ لكلِ المؤمنين.

ما هو روح الكآبة؟ إنَّه ما يُسمَّى أيضًا «بالإحباط». الناس الذين لا يفهمون المسيحيَّة على الاطلاق، والذين يجهلون عمق وعظمة حياتنا الرُّوحيَّة، يعتقدون أنَّ الدين المسيحي بأكمله غارقٌ في روح الكآبة. عند معاينة الرهبان وهم يرتدون الإسكيم الرهباني في ثيابٍ سوداء، وعيونهم شاخصة إلى أسفل وهم يُردِّدون صلواتهم من خلال المسبحة الهدوئيّة (كامبوسخيني) وينقلون حبّة حبّة بين أصابع يدهم، يعتقد هؤلاء أنَّ الدين المسيحي مُمِلٌ مثل الرهبان. لكن الأمر ليس كذلك، وهذا التقييم او الاعتقاد، مخالفٌ للرُّوح النابضة بالإيمان الحقيقي التي يجاهد فيه الرهبان باستمرار للحصول عليها ومضاعفتها.

فعلى سبيل المثال، أخبروني: هل يمكن لشخصٍ ذي روح كآبة أن يتمتَّع بالقوَّةِ الروحيَّةِ والحيويَّة الروحيَّة اللازمة لسلوك الطريق الضيِّق الذي يؤدِّي إلى الملكوت، والمكافحة ببسالةٍ بلا كَلَلٍ ومَلَلٍ ضدّ الشياطين؟ **بالطبعِ لا.**

إنَّ معتقدنا وإيماننا لا يَمت للكآبةِ بِصِلَةٍ، بل على العكس، إنَّه دين بهجة وحيويَّة وقوَّة في الإرادة والشخصيَّة، ليست الكآبة هي ثمرة معتقدنا، بل شيء معاكس تمامًا، كما يصف الرسول بولس: «وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ، فَرَحٌ، سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ، لُطْفٌ، صَلاَحٌ، إِيمَانٌ، وَدَاعَةٌ، تَعَفُّفٌ. ضِدَّ أَمْثَالِ هذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ.» (غلا ٥:٢٢-٢٣).

هذا هو الرُّوح الحقيقي، جوهر معتقدنا: ليس الكآبة على الإطلاق، بل البِّر والفرح والسَّلام في الرُّوح القُدُس. أَيُمكن أن يكون مَن يمتلك هذا الفرح كئيبًا؟ **بالطبعِ لا.**

غالبًا ما يرتكب الناس خطأ الحُكم على مَظهر الشخص. إنَّ المسيحيّ الحقيقيّ لا يُشبه الأشخاص الذين ينغمسون في أفراح الحياة. إنَّه مُسالِمٌ دائمًا، وغالبًا ما يبدو عميق التفكير، يمشي ورأسه إلى أسفل، غارقًا في أفكاره. هل هذا يعني أنَّه كئيب أو مُحبَط؟ هذا يعني أنَّ أفراح وشهوات العالم التي يُقدِّرها الآخرون، بعيدةٌ كُلّ البُعد عن المسيحيّ المؤمن وغريبة عنه، تمامًا كما أنَّ ألعاب الأطفال وتساليهم هي غريبة عن الكبار.

تتركَّز أفكار المسيحيّ على الأبديَّة، على ملكوت الله، متوجِّهةٌ نحو **الرَّبِّ يسوع المسيح** الذي هو هدف حياتنا ومركز حُبِّنا، لذلك فهو شخصٌ دائمًا جادٌّ ومتأمِّل. يحدث أحيانًا أنْ يُصاب المسيحيُّون باليأس، ويحدث تدهور بالروح؛ فبعد أن يكونوا قد قطعوا شوطًا بعيدًا في طريق المسيح، طريق التخلِّي عن شهوات ومسرَّات العالم، يعودون أحيانًا بأفكارهم إلى طريقهم السابق؛ يبدو لهم أنَّهم ضَلُّوا طريقهم عبثًا، وأنَّهُ سيكون من الجيِّد الدخول من الباب الواسع الذي يسلكه معظم الناس، «وَاسِعٌ الْبَابُ وَرَحْبٌ الطَّرِيقُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْهَلاَكِ، وَكَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ!» (متى ٧:١٣). فمن ثمَّ يقعون **في اليأس.**

هذه هي حال الأشخاص الذين تعرَّفوا على أسرار المسيح العظيمة،

وتركوا طريق تجارب العالم الواسع، واتَّبعوا طريق المعاناة من أجل المسيح. «مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ، وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!» (متى٧:١٤). هؤلاء يواجهون تجارب كثيرة، يغويهم الشيطان وتحاول ردعهم جحافل من الشياطين لكي يتوقَّفوا عن السير في طريق المسيح، وَتُقَدَّم لهم صُوَرٌ للحياةِ البهيجة التي تركوها، صُوَرٌ عن السعادة العائليَّة، ونعيم الصداقة، لكي يُنَحَوَّن عن المسار العظيم المؤدِّي إلى الحياة الأبديَّة، ويعودوا إلى طريق العالم.

غالبًا ما تنجح الشياطين في تحقيق هدفها، إذا ضَعُف المسيحيّ ونَسِيَ كلمات القديس يعقوب أخي الرَّبّ، التي تحذّرنا وتوجهنا وترشدنا : «فَاخْضَعُوا للهِ. قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ.» (يع ٤ : ٧). ولكن إذا فقد المسيحيّ عزمه وخَسِرَ غيرته **للرَّبِّ يسوع المسيح**، ولم يُقاوم أفكار إبليس، بل يخضع لها؛ عندها يقع هذا الإنسان في الكآبه، والكآبة حالةٌ روحيَّة خطرةٌ للغاية، لأنّها **فتنة شيطانيَّة**، يتعرَّض لها كل مسيحيّ، وينتصر عليها من يجاهد الجهاد الحسن. فكلّ القديسين تعرَّضوا لهذه الافتراءات والتجارب من **أرواح الظلام**، وفي الغالبية العُظمى من الحالات ، ومن خلال الصلاة والصوم والسهر والتناول ، هزم المسيحيُّون روح الكآبة التي **أطلقها الشيطان**.

ولكن كان هناك أَيضًا مَن نَمَت فيهم روح الكآبة وازدادت سطوتها في نفوسهم، كونهم تركوا طريق المسيح المؤدِّي إلى الحياة الأبديَّة، واختاروا طريق العالم وشهواته، كما يذكر الرسول بولس عن تلميذه ديماس: «لأَنَّ دِيمَاسَ قَدْ تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ» (٢تي ٤:١٠). هؤلاء شعروا أنَّ الله تخلَّى عنهم وأصبح الفراغ، وثِقَل الحياة والهموم المتراكمة تُحْدِرهم إلى اليأس والقنوط، وغالبًا ما انهوا حياتهم بالانتحار. كما قال الرسول بولس: «الَّذِينَ نِهَايَتُهُمُ الْهَلاَكُ، الَّذِينَ إِلهُهُمْ بَطْنُهُمْ وَمَجْدُهُمْ فِي خِزْيِهِمِ، الَّذِينَ يَفْتَكِرُونَ فِي الأَرْضِيَّاتِ.» (في ٣: ١٩).

لهذا السبب اعتبر جميع القديسين الكآبة خطرًا عظيمًا ومصيبة كبيرة، وَوَجَّهوا كُلّ قواهم إلى الجهاد ضدَّ روح الكآبة.

حتى القديسون يمكن أن يقعوا في الكآبة. لماذا وأين؟ ليسَ بعدُ من إبليس ولا من أرواح الظلام. تنشأ الكآبة عندما تتخلَّى عنهم نعمة الله مُؤَقَّتًا. حدث هذا لجميع القديسين. إنَّه اختبار ضروري لكلِّ مَن يُجاهد في سبيل التقوى. من الضروري ألَّا ينسب الشخص لنفسه، إلى نقاط قوَّته، إلى مزاياه، كُلّ ما قد حقَّقه. إنَّه يحتاج إلى تذكير بأنَّه لم يحقِّق ذلك بنفسهِ، بل فقط بنعمة الله.

عندما يبلغ الإنسان إلى قامةٍ روحيَّة عالية، فإنَّه يتفكَّر أحيانًا بنفسهِ، عندها تتركه نعمة الله لفترةٍ ما. ليقع في حالةٍ ذهنيَّة صعبة لا تُطاق، يفقد فيها كلّ الفضائل التي حصل عليها مثل السَّلام والفرح والوداعة وطول الأناة والصبر ... ليصبح قلبه (فكره) على الفور فارغًا، ويفقد الدفء الإلهي الذي كانت تسكبه النعمة الإلهيَّة، لتستقر فيه البرودة والجفاف الروحي، وبدلًا من الضوء، يظهر ظلام لا يمكن اختراقه، وبدلًا من الفرح، تأتي الكآبة العميقة. يسمح الرَّبّ بهذا، لتذكير المُجاهد أنَّه يسير في طريق المسيح، لا بقوَّته الخاصَّة، بل بنعمة الله.

هذا هو أحد مصادر تثبيط العزيمة. ما هي المصادر الأخرى القائمة؟ لقد تحدثتُ إليكم عن البطالة، يجب أن تفهموا أنَّ البطالة من أُمهات **تثبيط** العزيمة. الناس البَطَّالون، الذين لا يعملون وهم آمنون تمامًا، والغارقون في الرفاهِيَّة، الأشخاص الذين يشبعون من نِعَم الحياة، يفقدون طعم حياتهم، يشعرون بالملل من كُلِّ شيء، يُصبح كُلّ شيء غير ممتع، مُمِلًا، لا يَجِدون الفَرح في أيِّ شيء، تمتلىء قلوبهم بالكآبة التي هي عدوُّ خلاصنا الثقيل والخطير.

مصدر آخر للكآبة: هناك أشخاص يميلون إلى رؤية كُلِّ شيء في ضوءٍ قاتم، ويُطلَق عليهم اسم المُتَشائمين. إنَّهم يميلون ليكونوا مثل هذا المزاج، لتركيز أفكارهم على ما هو مُظلم، وما هو خاطئ. يطرحون السؤال: أين عدالة الله، وأين الحَقّ، إذا كان الفقير التَقِيّ يتألَّم، وغير المؤمن الغنيّ مُباركٌ فيما هو يسير في دروب معوجَّة؟.

إذا كان أحدهم يميل لا يلحظ في الحياة إلَّا المظالمَ والسيِّء فقط، فإنَّ الكآبة التي تُسيطر عليه، تنمو وتستفحل، لتصل إلى مرحلةٍ لا يعود المرء فيها يرى أيّ شيء جيِّد، فيقوده هذا المرض إلى فقدان معنى الحياة وهدف وجوده فيها، وَليصل أحيانًا إلى طريق مسدود، يختار فيها وضع حَدٍّ لحياته التي يراها عبئًا ثقيلًا على كتفيه. علمًا أنَّ السيِّد يسوع المسيح أتى لينقذ كُلَّ من قد هلك، ليعطيه الحياة بامتياز. «اَلسَّارِقُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ، وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ.» (يو١٠:١٠).

هناك مصدر آخر للكآبة وهو المصدر الأكثر شيوعًا. إنَّها الأحزان والحالات المؤسفة التي نمرُّ بها في الحياة. قد يموت أحد الأحباء، أو طفل أو زوج أو أُم أو امرأة، يقع عندها الإنسان باليأس، فلا يعود العالم عزيزًا عليه، لا يفكِّر إلَّا في عزيزه الرَّاحل، ويجول هذا الإنسان المسكين بفكره بالقُربِ من القبر، يتخيَّل محبوبه يرقد في نعشٍ ويتحلَّل جسده، فيتعمَّق في اليأس أكثر فأكثر.

ما هو علاج هذه الكآبة؟ إنَّه غير ضروري لأن تجول حول القبر بأفكارك، وتذكُّر الماضي ذارفًا الدموع. من الضروري السَفر بعيدًا بكلِّ قوَّة الفِكر إلى حيثُ ذهبَ العزيز المحبوب. إعلم أنَّ روحة أمام الله والملائكة، مُبتهجة بسبب عبوره من الكنيسة المجاهدة إلى الكنيسة المنتصرة (في الأبديَّة)، عليك أن تركّز على النُّور وليس على الظَّلام، وليس على الجسد الذي يتحلَّل مؤقَّتًا بل إلى ما هو أبديٌّ، كما يقول الرسول بولس: «هكَذَا أَيْضًا قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ: يُزْرَعُ فِي فَسَادٍ وَيُقَامُ فِي عَدَمِ فَسَادٍ. يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ. يُزْرَعُ فِي ضَعْفٍ وَيُقَامُ فِي قُوَّةٍ... وَكَمَا لَبِسْنَا صُورَةَ التُّرَابِيِّ، سَنَلْبَسُ أَيْضًا صُورَةَ السَّمَاوِيِّ.» (١٥:٤٢-٥٢). عندها فإنَّ روح الكآبة ستفقد قوتها وتتلاشى.

الأمراض الجسديَّة الخطيرة تُغَرِّقُ الإنسان في اليأس أحيانًا؛ كثيرون يُعانون من الأمراض من دون صبرٍ، فيما كان هناك قديسون قد رقدوا طريحي الفراش طوال حياتهم بسبب المرض، وكانوا يشكرون الله على هذه النعمة (المرض). من الضروري أن نتذكَّر هؤلاء الناس وأن نكون مستعدين على قبول الأمراض التي يسمح بها الله لأنْ نمرض بها، وإنَّ

مساعدة الطبيب هنا لا تتعارض مع مشيئة الله، لأنَّهُ هو خادم الله الذي يستطيع أن يخفِّف المعاناة ويُساعد في العلاج وأيضًا في طرد روح اليأس، كما يقول ابن سيراخ: «ثُمَّ اجْعَلْ مَوْضِعًا لِلطَّبِيبِ؛ فَإِنَّ الرَّبَّ خَلَقَهُ، وَلاَ يُفَارِقْكَ؛ فَإِنَّكَ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ. إِنَّ لِلأَطِبَّاءِ وَقْتًا، فِيهِ النُّجْحُ عَلَى أَيْدِيهِمْ، لأَنَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ إِلَى الرَّبِّ، أَنْ يُنْجِحَ عِنَايَتَهُمْ بِالرَّاحَةِ وَالشِّفَاءِ، لاِسْتِرْجَاعِ الْعَافِيَةِ. » (ابن سيراخ: ٣٨).

هذه هي مصادر وأسباب الإحباط. الوسيلة الأساسيَّة للتعامل معها هي الصلاة. هذا علاج اختبره جميع القديسين لقرونٍ عديدة. لا توجد وسيلة أكثر فاعليَّة من الصلاة التي هي طلب دائم لمعونة الله.

عندما تدخل في محادثة مع الله، فإنَّه يُريحك ويطرد روح الكآبة، عندما تأتي إلى هيكل الله حيث كُلّ شيء بعيدٌ عن الضجيج العالمي والدنيوي، إصغِ جيِّدًا إلى الألحان والترانيم، وستترك روحك منطقة الكآبة المظلمة وترفرف بعيدًا محلِّقة نحو الأعالي.

واذا انتقلت إلى الوسائل القويَّة لمكافحة الكآبة، والتي أعطاها الرَّبّ يسوع المسيح، وإذا فتحت قلبك في الاعتراف أمام راعي الكنيسة، وتناولت من ثمَّ جسد المسيح ودمه، تشعر عندها بالرَّاحة والفرح، وَستطرد منك روح الكآبة.

لا تُركِّز أفكارك على ما هو كئيب، ما هو خاطئ وما هو مُضنٍ، بل ارفع روح الحزن، مثبِّتًا قلبك مع الله، في أروقة السماء، حيث لا تصلها الأرواح المظلمة التي تجلب الكآبة.

وما الذي يمكن قوله عن الذين بالكاد يعرفون المسيح، الذين يسلكون طريق العالم، ويطلبون الفرح والتعزية من العالم؟ غالبًا ما يبدو هؤلاء في قمّة السعادة، بالابتهاج والسعادة والرِّضَى المزيَّف، وكأنَّهم غرباء عن الكآبة، لا تعتقد أنَّ الأمر هو على هذا النحو في الواقع، لا يَغُرَّنَّكَ مظهرهم، بل ضعوا في اعتباركم تجنُّب هذا الطريق طريق العالم، يا ليتهم عرفوا فقط ما يجري في أعماق قلوبهم. فلا يتوقَّف أبدًا تأنيب الضمير في أعماق نفوسهم، لا أحد يستطيع سماع صوته، يرفع الإنسان الداخلي رأسه أحيانًا ويبدأ بالصراخ. هذه هي المعاناة المستمرَّة للذين يسعون إلى الرخاء الدنيوي. يقول الرسول بولس: « لأَنَّ الْحُزْنَ الَّذِي بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يُنْشِئُ تَوْبَةً لِخَلاَصٍ بِلاَ نَدَامَةٍ، وَأَمَّا حُزْنُ الْعَالَمِ فَيُنْشِئُ مَوْتًا.» (٢ كورنثوس ٧: ١٠).

(يتبع)

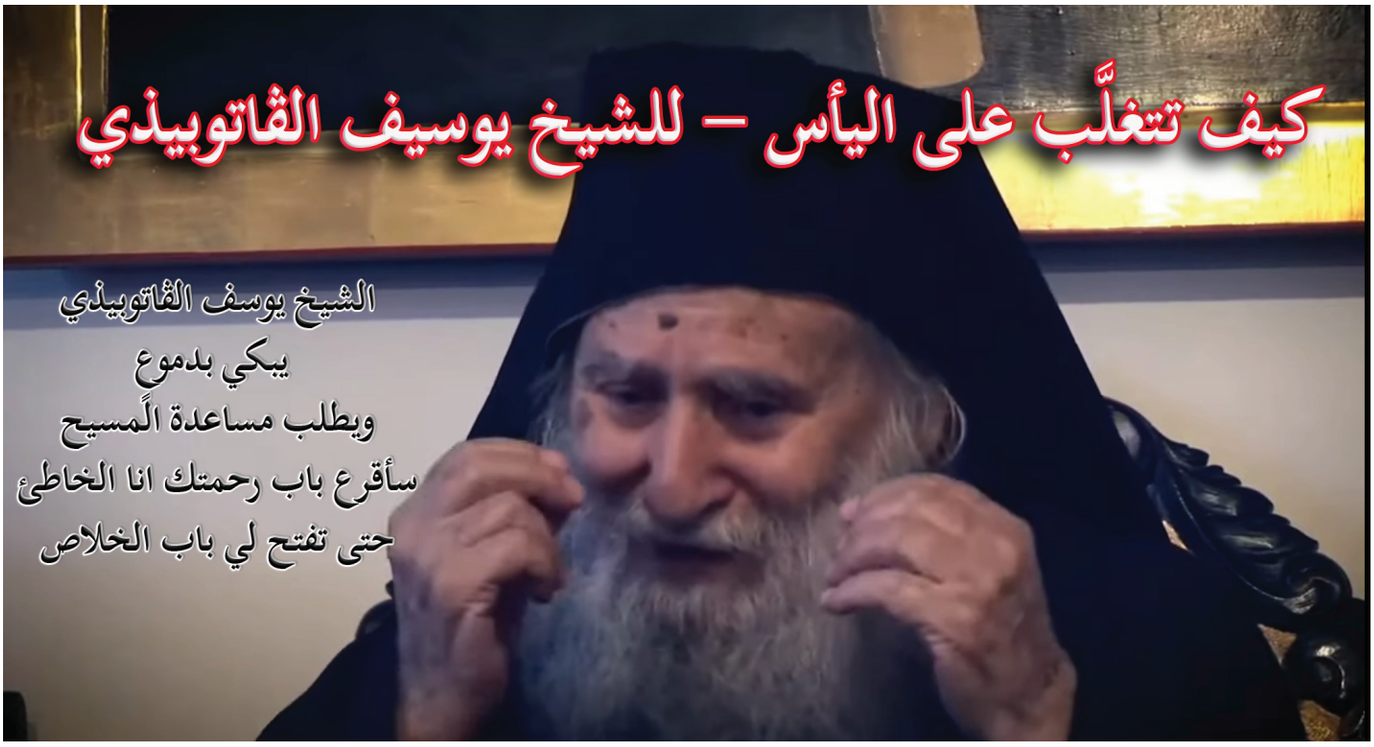

الكآبة هي السبب في كُلِّ الاضطرابات العقليَّة.

أُهربوا من الكآبة والإحباط، إذا لَم تَهزم الكآبة، عندها سوف تظهر خيبة الأمل؛ إذا الراهب أو المجاهد في طريق الخلاص، أهمل هذه أيضًا ولم يبذل جهده للتغلُّب على ظاهرة الكآبة، وبَقِيَ مُحبَطًا وخائب الأمل، **اليأس سوفَ يأتي لا محال**. وإذا سادَ هذا أيضًا (أي اليأس) عندها سيزداد الوضع سوءًا ويؤدِّي إلى اضطرابات عقليَّة، هكذا تحدث المشاكل في الصحَّة العقليَّة. وذلك لأنَّ اليأس يُقوِّض عالم الشخص الرُّوحي وَيُشَوِّش الإدراك المنطقي في شخصيَّته. وعندها يزور الأطباء النفسيِّين لتناول العقاقير التي لا تعالج أسباب المرض، ولكن للمواساة والتخفيف لهذه الحالة.

السؤال المهم جدًّا؟ لماذا نحنُ مُحبَطون ؟ كيف نسمح للشيطان أن يكون محامِيًا عنَّا ؟. ومن خوَّله هذه الصلاحيَّة؟ إنَّه كذَّاب ومُفترٍ.

إذن، نحن نعلم جيِّدًا أنَّه لا يوجد يوم واحد في حياتنا، ولا أيِّ يوم، لا نُخطِئ فيه. لأنَّه بعد سقوط آدم وحواء وعصيانهم لوصايا الله، ورثنا واختبرنا نتائج السقوط. لذلك نحن لا نمتلك القدرة والقوَّة على الصمود ضدِّ كلّ العوامل الخارجيَّة المحيطة بنا والتي تؤثِّر علينا تأثيرًا سلبيًّا.

نتفهّم هذا جليًّا، إذا جازَ التعبير، نحن نعمل خطايا وأخطاء، وعندها يأتي الشيطان اللعين، يأتي ويمثل أمامنا لِيُقاضينا، (هذا المعصوم عن

الخطأ – الشيخ يستهزئُ بالشيطان)، يأتي ليقول لنا : أنَّنا خاطِئون.

كم من المرات قلت لكَ (للراهب) أن تقف بشجاعة قائِلًا للشيطان: إذهب من حيثُ أتيت لأنَّك تجلب لي الكآبة. (**الشيخ يؤشِّر بيديه وبحماسٍ كبير لطرد أفكار الشيطان**).

قُل له: إنِّي سأذهب إلى أبي الرُّوحي وأعترف أمامه.

ويتابع الشيخ يوسف قائلًا:

الابن للأله الحيّ، يُريدني ابنًا له، وأنْ أتخلَّص منك أيُّها الشيطان، وأنتَ تأتي كمحامٍ، هكذا يجب أن تُقاوم الكآبة، بحزمٍ وقوَّة، «قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ.» (يع ٤:٧) لأنَّ الشجاعة هي القوَّة التي تقودنا، إنَّها الطاقة الفعَّالة مثل تيار الكهرباء أو الوقود؛ لماذا نخسر شجاعتنا؟ نعم بالحقيقة أخطأنا، ولكن هل هذه الحياة هي بدون خطيئة؟.

مرارًا اتوَجَّه إلى **المسيح**، واتجادل معه في يأسي قائلًا: أيُّها الرَّحيم، هؤلاء الملايين التائبون الذين لم تغفر لهم ذنوبهم فقط، بل أَلْبَسَتَهُم حُلل القداسة، والذين يلتفُّون حول عرشك الرَّهيب، أصبحوا قديسين هل بفضلِ شجاعتهم؟ أم بمساعدة نعمتك يا إلهي؟.

أنا أيضًا واحدًا منهم من المستغيثين فيك أيُّها المسيح، أني سأستمرُّ ولن أتوقَّف عن قرع باب رحمتك، حتى تفتح لي باب الخلاص، لأنَّك أنتَ هو: **الحقيقة، والحياة، والقيامة...** (الشيخ يبتسم فَرِحًا) هكذا أُريدك أن تُحارب لكي تنال أُجرة جهادك، ألَا يوجد لدينا أمثلة عن الذين كانوا في عمق الخطيئة حتى الجحيم، ولكنهم عادوا إلى مكانتهم الأولى، ولم يستطيعوا فقط الانتصار على خطاياهم، بل أصبحوا قديسين أيضًا، وتألقوا بالمجد، وانضموا إلى محافل القديسين والأبرار.

ما هي اللذات؟ أيٌّ منها مستحق اللوم وأيٌّ بريء؟ – للشيخ يوسف الفاتوبيذي

(اللذة – إيذوني– ηδονή = المتعة الشديدة التي نشعر بها عقليًّا أو فكريًّا أو أخلاقيًّا)

اللذات هي تلك الأشياء التي تمنح اللذة وتُحلِّي حياتنا. إنها مزدوجة مثل طبيعتنا البشرية. كما أنَّ لنا جسدًا ونفسًا وكلٌّ منَّا حواسه وجسده، على المنوال عينه تنتمي اللذات إلى الطبيعتين الجسديَّة والعقليَّة. هناك لذات جسديَّة، نحسّ بها بالجسد، وهناك لذَّات عقليَّة تنتمي إلى عالمنا العقليّ والروحيّ.

اللذات بالأغلب هي نتيجة عملنا وهي إمَّا تُعزِّينا أو تخيِّبنا، بحسب عملنا الصالح أو الخاطئ. إذا كان مخطط تحركاتنا وهدفها بحسب الله وإرادته، فالعواطف واللذات الناتجة تكون مرضِية وتترك طعمًا حلوًا. بينما إذا كانت ميولنا وأعمالنا غير عقلانيَّة ومليئة بالأهواء، عندها نشعر بالاشمئزاز والاستنكار.

من جهة أخرى، اللذات التي تفتننا وتغرينا هي تلك المرتبطة بطبيعتنا الجسديَّة والموجودة في أعضاء جسدنا وحواسنا. حاسَّة الذوق، اللمس والشمّ تأتي في المرتبة الأولى. إنَّ طعم الحلاوة الناتج عن احتكاكنا بالأمور والحركات الماديَّة يُسمَّى لذَّة. هنا ينبغي أنْ يمتلك المرء تمييزَ التدبير الصحيح لتلافي سوء الاستعمال. إنَّ جوهرنا المادي يشكِّل الجزء الأكبر من وجودنا، وهو يقوم على الحواس الثلاثة التي من خلالها تتمّ اللذَّة وإشباعها.

عندما يتذكَّر المرء مصيره، وأنَّه **يأكل ليعيش**، يصير قادرًا على التحكُّم باللذات بحسب ناموس الحاجة أو الضرورة. إذا كان للأسف، **يعيش ليأكل** ويصرِف كما هي القاعدة في هذه الأيام، طبيعي أن تسود اللاعقلانية وأخجل حتَّى من وصفها. (المترجم: **نصبح كالبهائم**).

هناك أيضًا لذَّات أخلاقيَّة وحسِّيَّة، وهي بشكل رئيسي تلك المتعلِّقة بغريزة التوليد وإقامة العلاقات. هنا عندنا متاهة الانحراف الحقيقيَّة، حيث يفوز الشيطان السحيق بمعظم الجوائز. إنَّ ناموس وحافز توالدنا، وهو ضرورة أساسيَّة في هذا المنفى، يصير الجاذب الأقوى للتلاقي الجسدي بين الجنسين. من ثمّ تبدأ الذريعة الأقوى من مذهب المتعة غير الشرعيَّة، وهي بالحقيقة مَن يحطّم الشباب العديمي الخبرة.

لقد وصفنا باقتضاب أسباب البلوغ إلى اللذة. الآن يتوقَّف الأمر علينا في استخدام الحكمة لرفض هذه الأسباب، وكبح نفوسنا عن البكاء على الأطلال بسبب قبولها غير الشرعي واستخدامها. هذه الأُسس تشير إلى اللّذات الحسيَّة والدنيويَّة.

إلى هذا، هناك لذَّات روحيَّة وهي تريحنا بالحقيقة وتشجعنا. اللذات الروحيَّة هي أفعال وثمار النعمة الإلهيَّة التي تعزّي وتخفّف الأتعاب في المجال الرُّوحي، تنير العقل، تهدئ القلب وتواسي الحواس وتبثّ الشَّجاعة والرَّجاء في الأوقات الصعبة. ما هو إذًا الفرح والسلام والصبر والاعتدال وكل ما يولَد من المحبة والعطف إن لم يكن لذة روحيَّة؟ كُلّ ثمار ومنتجات التضحية التي تطليها المحبة هي اللذات الروحيَّة الأحلى والتي تسبب الفرح الأعظم في حياتنا.

وعلاوة على ذلك، هناك لذّات فائقة الطبيعة يمنحها اللطف الإلهي لنا في هذه الحياة، مع أنها تنتمي إلى ماورائيات العالم الآتي، كتهيئة للنعيم الذي ينتظرنا. هذه اللذات، كونها فوق الطبيعة، نحن لا نتحكَّم بها ولا نُخطط لها في هذا العالم، فما هي إلَّا جوائز المحبة الإلهية الكاملة لتُقوّي وتريح أولئك الذين يجاهدون الجهاد الحَسَن. بعض هذه اللذات: هدوء الأفكار، التحرُّر من القتال ضدَّ الأهواء، الموت الكامل عن التعلّق بالأمور والحركات الدنيوية كما **صعود** *ascent* النعمة الإلهية إلى الذين حقَّقوا طهارة القلب. هؤلاء الناس يُقال عنهم أنهم يختبرون الإلهيَّات وهم **يُنقِذون** *extricating* أنفسهم من طرق وخبرات هذا العالم. هؤلاء الناس هم الذين أعطاهم السيِّد نعمةً وأعلن أنَّ لهم سوف يكشف نفسه وسوف «يسكن فيما بينهم» (رؤيا ٢١) هو وأبوه. على كل الذين يرغبون بالتَّمتع بهذه الهبات والفضائل الفائقة الطبيعة أنْ يجاهدوا في الالتزام بالوصايا. إنَّ ربنا يحفظ وعوده.

إنَّ الحياةَ الروحيَّة ليست مجرَّد جهاد سلبيّ ضدَّ الخطيئة، وإنَّما لها عنصر إيجابيّ وهو النموّ في الرُّوح حتّى يصل الإنسان إلى الملء. فمسكين ذاك المجاهد الذي يقضي حياته في صراع مع الخطيئة. يشتهي ويقاوم شهوته، ويقع ثمَّ يقوم، ثمَّ يقع ليقوم إلى غير استقرار، دون أن ينظر ويذوق ما أطيب الرَّبَّ. فالذي لم تدخل محبّةُ الله إلى لُبِّهِ لا تنتظر أنْ يقف على قَدميْهِ في طريق الملكوت، فهو متعثِّر أبدًا، وبناؤه الروحيّ على غير أساس متين، ولا يحتمل أن يقاوم صدمات الريح وسيول الأمطار. لذلك كان لا بدَّ لكلِّ أحد أنْ ينمو في محبَّة الله، وتكون هذه المحبَّة الأساس الذي يرتكز عليه كُلُّ عمله الروحيّ. ولكنَّ الإنسان لا يمكنه، مطلقًا، أن يسلك في طريق الروح من دون معونة الله ونعمته، إذ يضحي كلّ عمله اتّكالًا باطلًا على قوَّته البشريَّة. ولمّا كانت للنعمة وسائط روحيَّة عن طريقها تقدِّم عطاياها لمحبّي الله، لذلك ينبغي لكلِّ سائرٍ في طريق الله أن يمارس هذه الوسائط الروحيَّة كالصلاة والقراءة الروحيَّة والتأمُّل والصَّوم وغيرها.

أمَّا الصلاة، فهي أوَّل واسطة من وسائط النعمة التي كثيرًا ما نسمع بها ونقرأ عنها وعن ضرورتها للخلاص. فما هي الصلاة يا ترى؟ لا يوجد تعريف واحد للصلاة، فلقد عرَّفها كُلُّ قدِّيسٍ تعريفًا خاصًّا كما اختبرها في حياته المقدَّسة مع الله. فمن قائل إنَّها مفتاح السماء، وشفاء السُّقماء، إلى قائل بأنَّها مُعينٌ جبَّار وسلاح بتَّار، إلى ثالث وصفها بأنَّها ميناءٌ أمين وكنزٌ ثمين وعمل الروحانيِّين.

فالقدِّيس يوحنَّا الذهبيِّ الفم يقول: «الصلاة سلاحٌ عظيم وأساس بركات لا تحصى». ويعرِّفها **القدّيس باسيليوس الكبير** بأنَّها: «التصاق بالله في جميع لحظات الحياة ومواقفها». أمّا **المغبوط أغسطينوس** فيعرِّفها على أنَّها: «مصدر لكلّ الفضائل وعمل الملائكة وأساس الإيمان». وأمّا **الرَّبُّ يسوع**، فقد أعطاها كُلَّ القوَّة والاقتدار إذ قال: «وَكُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ فِي الصَّلاَةِ مُؤْمِنِينَ تَنَالُونَهُ» (متّى٢١: ٢٢). فالصلاة تقتدر كثيرًا في فعلها، لذا لا نعجب إذا كان عملها أسمى من كُلِّ عملٍ آخر وأرفع، كما يبرهن ذلك **القدِّيس يوحنَّا الذهبيِّ الفم** بقوله: «حينما تُصلِّي ألَا تتحدَّث مع الله؟ أيُّ امتياز مثل هذا؟!».

من دون الصلاة لا تستقيم الحياة الروحيَّة، لأنَّ هناك علاقةً وثيقةً لا تنفصم بين الصلاة وحياة الرُّوح. فأنا أستطيع أن أكون تحت قيادة الرُّوح بصفة دائمة إذا عشت حياة الصلاة المستمرّة، لذا كانت حاجتنا إليها ضروريَّة أكثر من أيَّةِ حاجة أخرى. الصلاة هي كُلُّ شيء في حياة المؤمن الحقيقيّ، لأنَّها شركة مع الخالق، وهي الرِّباط المتين الذي يربطنا به ويشدُّنا إليه. فمن يجسر إذًا، على القول إنَّه ليس بحاجة إلى الصلاة؟ إنَّ من يجسر على هذا القول إنَّما يُظهر أنَّه بغير حاجة إلى الله ذاته، وإلى عونه. **فالقدِّيس يوحنَّا الذهبيِّ الفم** يعلّمنا قائلًا: «إذا لاحظت إنسانًا لا يحبُّ الصلاة، فاعرف في الحال، أنَّه ليس فيه شيء صالح البتَّة، فالذي لا يُصلِّي لله هو ميت ولا حياة فيه». وليس أدلُّ على لزوم الصلاة للإنسان، وحاجته الماسَّة إلهيا، من أنَّها كانت جُزءًا هامًّا في حياة السيّد المسيح وهو في الجسد مع أنَّه لم يكن في حاجة إلى الصلاة، إذ دُفع إليه كُلُّ سلطان في السَّماء وعلى الأرض، ولكنَّه ترك لنا مثالًا لكي نتبع خطواته.

إنَّ احتياجاتنا الجسديَّة والروحيَّة توضح بأجلى بيان حاجتنا إلى الصلاة، أمَّا خبرتنا الروحيَّة، فتُظهر لنا بأنَّه من المستحيل السير في الطريق الروحيّ من دون الصلاة، وما أكثر ما قاله الآباء القِدِّيسون في هذا الصدد. **فالمغبوط أغسطينوس** يقول: « ليس أحد من المدعُوِّين يقدِر أن يفوز بخلاصهِ من دون معونة الله، ولا أحد يستحقّ هذه المعونة إلَّا بالصلاة». أمّا القدّيس بولس الرسول، فبعدما ذكر أنواعًا مختلفة من الأسلحة الروحيَّة في رسالته إلى أهل أفسس، أضاف:

«مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ» (أف٦:١٨)، وهكذا أوضح أنَّ خوذة الخلاص وترس الإيمان وسيف الرُّوح الذي هو كلمة الله لا تغني كلُّها عن الصلاة. ودوَّن **القدِّيس يوحنّا السلّمي**: «إنَّ سرّ دوام النعمة والفضيلة هو في دوام الصلاة. فكلُّ من يتوكَّأ على عكَّاز الصلاة لا تزلُّ قدماه. وحتّى إنْ زلَّت، فهو لن يقع تمامًا، لأنَّ الصلاة سند للسائرين في طريق التقوى».

بالصلاة يسكن خوف الله في قلوبنا. بالصلاة ننال بركات روحيَّة لا تُحصى، فهي تُؤهِّلنا لحلول **الرُّوح القُدُس** فينا. الصلاة تُنجِّينا يوم **الدينونة العظيم**، وتؤهّلنا لرحمة الله ومعونته ونعمته. بالصلاة نقتني النقاوة والفرح الكامل، لأنَّه لا فرح يعادل فرح شركتنا مع الله أثناء الصلاة. فلنتمسَّك إذًا، بالصلاة قدر ما نستطيع، لأنَّها السلاح الأقوى الذي به نحارب وننتصر. وحتَّى تكون لصلاتنا هذه القوَّة وهذه الفاعليَّة وجب أن تكون:

١) من قلب طاهر، لأنَّ الشَّهوات الكامنة في القلب تُعيق الصلاة. ولا نقصد هنا بالقلب الطاهر هو ذاك الذي تطهَّر من الخطيئة فقط، بل القلب غير المنقسم على ذاته، أي الذي لا يعرج بين محبَّة الله ومحبَّة العالم كما يقول المرنِّم: «بكلِّ قلبي طلبتك» (مزمور ١١٨: ١٠).

٢) أنْ تكون بحسب مشيئة الله أي أنْ نسأله ما يتَّفق مع محبَّته وحكمته مُردِّدين دومًا: لتكن لا إرادتي بل إرادتك. فلنقدِّم، إذًا، ما شئنا من الطلبات مشفوعة دومًا بروح التسليم الكامل، وهذا ما دعانا إليه الرَّبُّ في الصلاة الربَّانيَّة إذ نقول: «لتكن مشيئتك». أي من الممكن أن ننال الطلبة ومن الممكن أيضًا ألَّا ننالها البتَّة، أو ننالها بعد حين. ويؤكِّد هذا القول **القدِّيس يوحنَّا الذهبيّ الفم** قائلًا: «إنَّ الصلاة بركة كبيرة سواء نلنا طلباتنا أو لم ننلها، لأنَّ الله فيما يعطي أو لا يعطي إنَّما يفعل ذلك لخيرنا». فلا تحزن إنْ لم تَنل، أو إن تأخَّرت استجابة الطلب، فلست أنت أحكم من الله. فلربَّما تكون طلبتك ليست لصالحك، أو إنَّ الله يريد أن يعلِّمك المثابرة في السؤال واللجاجة في الطلب.

٣) أن تكون الصلاة، أيضًا، بإيمان كامل، فالرسول بولس يقول: «فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ.» (عب ٤: ١٦). فالصلاة بدون إيمان باطلة ولا قوَّة لها، لأنَّ «الإيمان هو جناح الصلاة وبدونه تعود الصلاة إلى حضن الإنسان ثانية» على حدِّ قول **القدِّيس يوحنّا السلّمي**. أمَّا **القدِّيس يوحنَّا كاسيان** فيتساءل: «من هو البائس؟ هو الذي يصلّي ولا يؤمن أنّه سيحصل على جواب».

٤) أنْ تكون الصلاة مقرونة بالصَّفح عن خطايا القريب، فلقد قال **الرَّبُّ يسوع**: «وَمَتَى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ، فَاغْفِرُوا إِنْ كَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ» (مر١١:٢٥). **والقدِّيس نيلس السينائيّ** يقول: «إنَّ من يصلِّي وفي نفسهِ حقدٌ يشبه من يصبُّ ماءً في دلوٍ مثقوب».

٥) أنْ تكون أيضًا مقترنة بالشُّكر، فتزداد لك بذلك البركات والعطايا، **فالقدِّيس إسحق السوريّ** يذكِّرنا بأنَّ «من لا يشكر على القليل هو كاذب إنْ قال إنَّه يشكر على الكثير».

٦) يجب أنْ تعرف أنَّ كُلَّ معدة مثقَّلة بالأطعمة لا تدع صاحبها عقلًا متجمِّعًا أثناء الصلاة، لأنَّ الامتلاء يسبِّب كسلًا واسترخاء.

ليست الصلاة سهلة كما تظنُّ، إذ هي تحتاج إلى أعراق وأتعاب وجهاد كبير مع تغصُّبٍ وصبرٍ جزيل. فها هوذا **القدِّيس مكاريوس الكبير** يقول: «إنَّ من يلازم الصلاة يحتاج إلى جهاد أكثر من سائر الأعمال، لأنّ الشرّير يناصبه العداء، محاولًا إبطال الصلاة. لذلك يلزم من يُصلِّي الجهاد حتّى الدمِّ مقابل أولئك الذين يسعون لإبعاد النفس عن الله». بقدر ما للصلاة من بركات بقدر ما تحتاج إلى جهاد. **فالقدِّيس إسحق السوريّ** يوضِّح لنا هذا بقوله: «إنَّ جهاد الصلاة مريرٌ وشاقٌّ، ولكنَّ المؤمن يُقبل إليه من أجل البركات المقترنة به». لذلك علينا أن نعرف كيف يجب أنْ نُصلِّي، ليكون جهادنا مُثمرًا، ولتسهل علينا صلاتنا. فمثلًا الوضع الجسديّ له دخلٌ كبير في انتباه الفكر، ويخطئ من يظنُّ أنَّه لا علاقة بين الصلاة والوضع الجسديّ للمصلِّي. فأوضاعنا الجسديَّة أثناء الصلاة تدلُّ على مدى توقيرنا للرَّبِّ، وتذلُّلنا أمامه، وخشيتنا له ما يسبِّب في استجابة الصلاة، ونوال بركات ونعم روحيَّة إلهيَّة.

ولا يفوتنا في هذا المقام أنْ نشير إلى بعض خِدَع الشيطان والجسد: فقد يحدث أحيانًا أن يشعر المرء بالضعف الجسديّ وبثقل الأعضاء كما حصل لأحد المجاهدين الذي كان يشعر بصداع عند بدء الصلاة. أمّا هو، فكان يقول لنفسه: «يا شقي لعلَّك تموت في هذه الساعة، فاغتنم فرصة صلاتك قبل موتك». وهكذا كان يتمِّم صلاته، وبمجرَّد فراغه كانت يسكن الصُّداع. لهذا يجب الحذر جيِّدًا في جهادنا، غاصبين أنفسنا وأجسادنا إلَّا في حالات المرض الحقيقيّ والضعف الجسديّ الظاهر.

وما يساعدنا على الصلاة أيضًا، التمهيد للصلاة والإعداد لها بفترة من الصمت والهدوء، محاولين أثناءها رفع عقولنا وقلوبنا عن كلِّ ما هو دنيويّ، ناسين كُلَّ أشغالنا واهتماماتنا، لأنَّ **القدِّيس يوحنَّا كاسيان** يعلِّمنا بقوله: «إنّ الأشياء التي يكون عقلنا يفكِّر فيها قبيل ساعة الصلاة ستعاودنا بالضرورة أثناء الصلاة». لذلك من المهمِّ جدًّا أنْ نُشْعِر نفوسنا أنَّنا في حضرة الله، وأنَّه يرانا ويسمعنا، وهو قريب منَّا ينظر إلينا. فبمثل هذه الأحاسيس والمشاعر هيِّئْ ذاتك قبل الصلاة لتحسَّ بالحرارة والدِّفء يتسرَّبان إليك، إذ لا يليق أن تنتقل من الأشياء التي كنت مُنهمكًا فيها إلى الصلاة مباشرة، لأنَّك إنْ فعلتَ هذا لن تحسَّ بفاعليَّة الصلاة، ويكون بالتالي فكرك مشتَّتًا.

وحينما تبدأ صلاتك جاهد أنْ تتبع بفكرك كُلَّ كلمة يلفظها لسانك، **فالقدِّيس يوحنا التبايسي** ينبِّهنا قائلًا: «لا تظنَّ، يا أخي، أنَّ الصلاة هي مجرَّد كلام. إنَّ الله روح، فصلِّ أمامه بالرُّوح». أَشْرِكْ عقلك وقلبك ولسانك، لأنَّ كثيرًا ما يحدث أنَّ اللسان يتلو كلمات الصلاة في حين أنَّ العقل والقلب لا يشعران بما يُتلى. فلا تنشغل بأيِّ أمرٍ عن الصلاة، وأَغْلِقْ نوافذ حواسِّكَ حتّى لا يدخل ما يُشَتِّتها. «تغافل عن ضروريَّات

الجسد عند وقوفك للصلاة ، حتّى ولو لدغك برغوث أو بعوضة أو ذبابة، فلا تنشغل بها لئلا تخسر الربح العظيم الذي للصلاة»؛ كما قال **أحد آباء البرِّيَّة**. ويُحكى عن أخ أنَّهُ كان يمشي، ذات يوم، في البرِّيَّة مُصلِّيًا، فظهر له ملاكان وسارا معه عن يمينه ويساره. أمَّا هو، فلم يُحوّل انتباهه إليهما حتّى لا يخسر ثمرة الصلاة، مُتذكِّرًا قول الرسول بولس: «وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ ،... تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (رو ٨: ٣٩).

فلنتمسّك، إذًا، بالصلاة قدر ما نستطيع، ولا نَتعلَّلنَّ، قَطُّ، بقولنا إنَّنا لا نعرف كيف نُصلِّي، أو إنَّه لا غذاء لدينا، فأشغالنا ومسؤوليَّاتنا كثيرة. أمَّا عدم المعرفة، فالرُّوح القُدُس كفيلٌ بأنْ يعلِّمنا كيف نُصلِّي إنَّما المهمُّ أنْ نبدأ نحن، وأنْ نُبدي استعدادنا. وأمَّا عدم توفُّر الوقتِ، فالمسألة تحتاج، في الواقع، إلى تنظيم وقت، لكي نُوفِّق بين واجباتنا نحو الله وواجباتنا الأخرى، وذلك يحتاج إلى إلغاء الوقت الضائع في المحادثات الباطلة مثلًا، والزيارات غير المجدية. إذن، الأمر يرجع في الحقيقةِ إلى إهمالنا وتهاوننا، أو إلى استثقالنا للصلاة، أو لشعورنا بأنَّ الصلاة هي للرهبان وحسب. إنّ هذا التفكير خاطئ، **فالملك داود** كان مَلكًا وقائدًا للجيش وقاضِيًا للشَّعب وله أسرة كبيرة، وعلى الرغم من هذا كان يقول: «سبقت عيناي وقت السحر لأتلو جميع أقوالك» (مز١١٨:١٤٨). وكذلك: «سبع مرّات في النهار سبّحتك» (مز١١٨:١٦٤). إذنْ من يشتعل قلبه بمحبَّة الله لا شكَّ أنَّه سيجد وقتًا للرَّبِّ، وسيعرف كيف يُنظِّم أوقاته، ويُلغي ما يمكن إلغاؤه.

وتبقى **صلاة يسوع** الصلاة السهلة الاستعمال في كلِّ مكان وزمان، لأنَّ **القدِّيس كلميندس الإسكندريّ** يعرِّف المسيحيّ الحقيقيّ بأنَّه الشخص «الذي يصلّي في كلِّ مكان، ماشيًا، مُتحدِّثًا، قارئًا، منفردًا، أو مع الناس». إنَّ **صلاة يسوع** لا تحتاج إلى تنظيم وقت إنْ لم تملكه، لأنَّك تستطيع ترداد كُلَّ وقتٍ، فهي لا تحتاج إلى مجهود بل إلى حبٍّ وعزم. إنَّها صلاة قصيرة، ولكنَّها تحفظ للقلب حرارته المقدَّسة. ردّدها في أي وقت كنت فيه، أو في أيِّ ضيق تمرُّ به، أو شدَّة تجتازها، لأنَّها كفيلة بزحزحة حجر الحزن عن قلبك. فاسم الرَّبِّ ذو اقتدار وقوَّة عظيمين. ردِّدها حينما تأوي إلى فراشك، وحينما تستيقظ، أو عندما تأكل. اجعلها باكورة تفكيرك، واجعلها تتبعك طيلة يومك، ولا تحتجُّ بعدم توفُّر الوقت. ردِّد ولا تملّ: «يا ربّي يسوع المسيح ارحمني أنا الخاطئ». وهكذا، شيئًا فشيئًا، يستنير فكرك، ويشتعل قلبك بحرارة محبّة الله، وتستطيع، حينئذ، أن تهتف مع المرنِّم: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الربّ» (مز ٣٤: ٨).

تبدأ تنشئة الأولاد من لحظة تكوينهم، فالجنين يسمع ويشعر وهو في أحشاء أُمِّه أَجَل، إنَّهُ يسمع ويرى بعينيِ الأم. يُدرك تحرّكاتها ومشاعرها، رغم أنَّ فكره لم يكن قد نما.

يشحب وجه الأم، وكذلك وجه الجنين. تغضب الأم ويغضب الجنين. تشعر الأم بالحزن، بالألم، بالخوف، بالقلق ... فيتأثَّر الجنين بكلِّ هذا. إذا رفضت الأم جنينها، إذا كرهته، يشعر الجنين بهذه الأحاسيس، فتتكوَّن في نفسه الصغيرة جروحٌ ترافقه مدى عمره كلُّهُ. ويحصل عكس ذلك مع مشاعر الأم المقدَّسة. وعندما يكون في قلبها الفرح والسلام، والمحبَّة للجنين، تُنقَل هذه الفضائل سِرًّا إلى مَن تحمل في أحشائها كما يحصل مع الأطفال المولودين. لهذا يجب على الأم أن تُصلِّي كثيرًا خلال فترة الحمل وأن تحبَّ الجنين وتداعب بطنها وأن تقرأ المزامير، وترنِّم (الطروباريّات) التراتيل وتعيش حياةً مقدَّسة. وهذه الممارسة تعود بالنفع لها، بل وتضحياتها من أجل جنينها، لكي يصبح الولد كذلك أقدسَ، ويمتلك من البداية إبداعات مقدَّسة .

أَرأَيتم كم هو دقيق أن تحمل المرأة ابنًا ؟

كم هي المسؤوليَّة كبيرة وكم هو الشَّرف عظيم!

سأقول لكم شيئًا له علاقة بما سبق، وعن كائنات حيَّة غير عاقلة وستفهمون منه القليل.

في أميركا يختبرون ما يلي:

في قاعتَين متشابهتَين، درجات حرارتهما واحدة وربُّهما واحد وكذلك تربتهما، يزرعون في القاعتين أزهارًا. فنلاحظ فرقًا واحدًا وهو: في إحدى القاعَتين، يضعون الموسيقى الناعمة والفرحة.

النتيجة؟ ماذا أقول لكم؟! أزهار هذه الغرفة تُظهِر فرقًا شاسعًا بالنسبة إلى الثانية. ففيها حيويَّة مميَّزة، لونها أكثر جمالًا ونموُّها أكبر لا يُقارَن.

كم هي غير مقصودة الخطايا المرتَكَبة عن غير إدراك؟

الأستاذ
يوحنا كورناراكيس*

* أستاذ شرف في اختصاص علم النفس الرِّعائي والاعتراف في جامعة أثينا. رقد بالرَّبِّ سنة 2013. له العديد من الدراسات الرزينة في علم النفس الرِّعائي حيث يقرأ هذا العلم على ضوء الآباء وليس العكس، ما يجعل كتاباته فعليًّا نافعة للمؤمنين وللرُّعاة، لا حشوًا يوصلهم إلى أفكار خارجة عن خبرة الكنيسة وتقديسها.

«بصراحة يا أبونا، لقد وقعت في هذه الخطيئة دون أنْ أُدرك. لم يكن الأمر مقصودًا على الإطلاق. لم أكن أرغب في ذلك ولم أفكر بالقيام بذلك». إلى أيِّ مدى يمكن أن يكون هذا التأكيد حقيقيًّا أو أقلُّه ثابتًا، وما مدى صحة هذا الادعاء؟

بالتأكيد، يوجد حجة كتابية حول الطبيعة غير المقصودة للعديد من الخطايا، في الفصل السابع من رسالة القديس بولس إلى أهل رومية. هناك يحدِّد رسول الأمم بشكل عام الطبيعة المضادة (التصارُعيَّة) لعمل الرُّوح البشريَّة فيما يتعلق بعلاقتها، من ناحية مع ناموس الله، ومن ناحية أخرى مع الخطيئة الكامنة في هذه الرُّوح.

« إذًا أنَا في الأساس لا أعرف ما أفعله. أنَا لا أفعل ما أرغب فيه، لكن بدلًا من ذلك أفعل ما أريد أنْ أتجنَّبه... لذا وصلتُ إلى النقطة التي ليس أنا مَن يتصرف، بل الخطيئة التي استقرَّت بداخلي. بهذه الطريقة، أنا لا أخدم الخير الذي أريده، ولكن الشَّر الذي لا أريده. لكن إذا فعلت ما لا أريده، فلن يكون التصرف قد صدر بقراري بعد الآن، بل بقرار الخطيئة التي استقرت بداخلي.»

صحيحٌ أنَّ هناك خطايا غير مقصودة. قد تكون الإغراءات المفاجئة أو المواقف غير المتوقعة في حياتنا اليوميَّة وعلاقاتنا الشخصيَّة، أقله ظاهريًّا، هي العوامل المسؤولة عن خطيئة نرتكبها عن غير قصدٍ.

لكن، من زاوية أخرى، يبدو أنَّ الخطايا غير المقصودة أو اللاواعية تشكِّل خطرًا على الضَّمير اليَقِظ عند الأشخاص المنخرطين في الصراع الرُّوحي. يرتبط الخطر الكامن هنا بشكل غير مباشر بحقيقة أنَّنا نحن أنفسنا، غالبًا ما نكون المنتقدين الوحيدين لأنفسنا، الذين يكشفون بكُلِّ صدقٍ أحد تجاوزاتنا أو ارتدادنا أو فكرة خاطئة أو شَكٍّ أو رغبة تتعارض مع المستوى الرُّوحي الذي نحاول الحفاظ عليه. نحن نحكم على أفكارنا وأفعالنا ونؤكِّد لأنفسنا أنَّ خطايانا كانت لا إرادية. وإلى هذا، لأننا مقتنعون «**بِكُلِّ نِيَّةٍ حسنة**» فنحن نحاول استخدام نفس الحجج لإقناع الآخرين، حتى أبينا المعرِّف، بأنَّ الأمر كان لا إراديًّا.

« ماذا عساي أقول يا أبونا؟ أنا مُندهش من نفسي. يبدو الأمر كما لو أنَّني فقدت السَّيطرة وفعلتُ شيئًا لم أكن أعرفه، لم يكن خياري، ولم أكن أريده. لاحظ **القديس باسيليوس الكبير** في حالة مثل هذه الادعاءات: «إنَّ الأشخاص الذين أُجبِروا على ارتكاب خطيئةٍ ما دون أن يكونوا راغبين في ذلك، يجب أنْ يعلموا أنَّهم حتى ذلك الحين كانوا مربوطين بخطيئة أخرى موجودة بالفعل في داخلهم، وقد زرعوها عن عمد، وهم الآن ينجذبون إلى هذه الخطيئة الموجودة مُسبقًا وَيَنْشَدُّون إلى ما لا يريدون.»، هذه الملحوظة من جانب القديس باسيليوس تهزُّ أُسس أيِّ ادعاءٍ يتعلَّق بعدم إرادة الخطيئة، لأنها تثير التساؤل عن مدى كون الخطيئة غير المقصودة حقًّا غير مقصودة. كيف يمكنك أنْ تتأكَّد من أنَّ خطاياك اللاإراديَّة هي فعلًا غير مقصودة وليست الفروع الطبيعيَّة لخطيئة موجودة قبلًا ومرتَكَبة بالفعل عن طيبِ خاطر؟ في الواقع، « اَلسَّهَوَاتُ مَنْ يَشْعُرُ بِهَا؟» (مزمور ١٨:١٢).

إنَّ الأشخاص الذين يعرفون **الآباء** يحلُّون هذه المشكلة بالتغلُّب على الحُجة التي تُدلي بها نفوسهم الآثِمة. فلأنَّهم يعرفون الخطر الذي قد يكمن في هذا الخط الفكري المتعلق بالطبيعة اللاإرادية للخطيئة، فإنهم يحرسونها من خلال الاعتراف بحزمٍ (**في جميع الأوقات وفي جميع الأماكن**) بخطيئتهم الشخصية المطلقة باعتبارها الحالة الطبيعيَّة لحياتهم الروحيَّة.

بتعبير آخر، إنَّهم يُؤمنون تمامًا بطريقة لا تقبل الجدال بأنَّهم أكبر الخطأة بين الذين ولدوا **منذ آدم**. هذا الوعي للخطيئة يتمُّ التعبير عنه بوضوح وصفاء مواهبي في **طروباريات القانون الكبير**، والذي يتوافق تمامًا مع اعتراف القديس بولس «أنا أوَّلًا». «لا توجد خطيئة أو فعل أو شَرٍّ في هذه الحياة، أيُّها المخلص، لم أرتكبه في الفكر والكلام والنيَّة. لقد أخطأت عمدًا وفي أعمال لم يسبق لأيٍّ كان أنْ أخطأ بها.»، «إذا نظرتَ إلى أعمالي، أيُّها المخلص، أرى أنَّني قد تجاوزت خطايا الآخرين، لأنَّني كنت أعرف ما كنت أفعله ولم أكن جاهلًا». «أَسْقُط عند قدميك وأقدِّم هذه الكلمات على شكلِ دموعٍ: لقد أخطأتُ كما فعلت الزانية وتعدّيتُ كما لم يخطأ أحدٌ آخر على الأرض».

مع هذا الإدراك للخطيئة الشخصيَّة المطلقة، يُطهِّر هؤلاء الناس عالمهم الداخلي بيقين الاستنارة **بالرُّوح القُدُس** وبالتالي يتحرَّرون من التفكير غير المُجدي، بل والخطير الذي يُظلِم حقيقة حالتهم الشخصيَّة من الخطيئة بدلًا من أنْ ينيرها. «لأَنَّهُ هُوَ يَعْرِفُ خَفِيَّاتِ الْقَلْبِ» (مزمور ٤٣:٢١).

في الواقع، بحسب **القديس مكسيموس المعترف**، الله وحده يفهم أنَّنا لا نستطيع أنْ نرى ما في أعماق أرواحنا. إنَّهُ هو الذي يرى جميع أعمالنا ويحكم عليها بإنصاف. حتى «الحركة الخفيَّة للرُّوح والاندفاع غير المرئي». هو وحده يفهم الحيثيَّات والأسباب الكامنة وراء هذه الحركات الخفيَّة للرُّوح و «نهاية كُلِّ شيء قد سبق تصوره». هذه هي الحقيقة. فإلى أيِّ مدى يمكن أنْ تكون الخطيئة اللاإراديَّة غير مقصودة في قضاء الله؟.

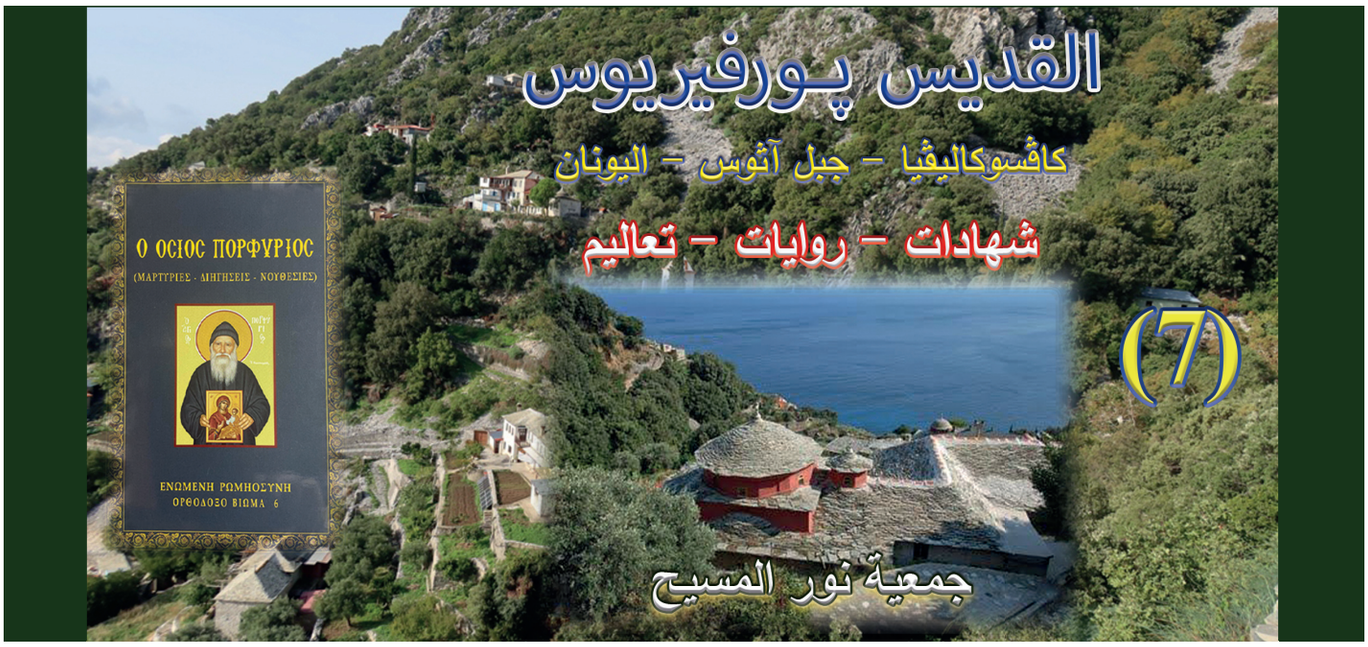

الجزء الأول: شهادات عن القديس

خبرات روحِيَّة مع القدِّيس پورفيريوس وعجائب له

شهادات المتوحِّدة ستيلياني، رئيسة دير الضابط الكلّ (باندوكراتور):

خدمة الأغربينيَّة :

شابةٌ تريد الانضواء لحياة الرهبنة، وفدت إلى ديرنا لتختبر رغبتها، أُقيمت صلاة الأغربينيّة مساءً، وقُبيل الانتهاء من الخدمة، قرعَ جرس الهاتف، كان الشيخ پورڤيريوس، فقال: «كم كان جميلًا ورائعًا ما تفوَّهتم به هذا المساء، لقد وصلت صلواتكم إلى السَّماء بِصُحبةِ الملائكة، التي كانت تَصعد وتنزل، والتي شاركتكم بهذا الاحتفال.»

ومع ذلك إنتبهي لما سأقوله: إنَّه في الجانب الأيمن من فناء الكنيسة الصغيرة (براكليسي) المقدَّسة، وداخلًا خلف العمود، تقف هناك صبيَّة، وها هي الآن تُصَلِّي هناك. إذهبي إليها، وقولي لها الآتي:

عندما نعمل علامة صليبنا المقدّس، ننتقل عقليًّا نحو الجلجثة في أورشليم حيث ذبيحة مخلصنا يسوع المسيح التي قرّبها على الصليب. نرشم علامة الصليب الكريم المحيي، في كثيرٍ من الخشوع والوقار والوَرع، مقرونَةً بالفهم والإدراك، ولِعَملِ الله الخلاصيّ نحونا نحنُ البَشَر الخُطاة، **وليسَ كمن يعزف على آلة الماندولينو.!!!** (الفتاة ترشم علامة الصليب وكأنها تعزف على الآلة الموسيقيّة ماندولينو التي هي آلةٌ وتريَّة تُشبه آلة العود، بعفويَّة وسرعة وبشكلٍ غريب).

تنظيف السيارة من ... :

في إحدى المرات، قمنا بزيارة الشيخ پورڤيريوس، وباللحظة التي وصلنا فيها إلى ساحة الدير، وأغلقنا السيارة بعد نزولنا منها، لنصعد إلى قلَّاية الشيخ، وَصَلت أُختي بالرهبنة كاسياني (إسمها سابقًا عيمانوئيلا)، تعدو جريًا، يكتنفها الشَّوق والرغبة، وكان إحساسها يغمره الخوف والترَقُّب، عمَّا أصابهم في الطريق.

فقالت (لرئيسة الدير): ونحن نقود المركبة نحو الدير، اكتشفتُ أنَّ السيارة قد نفذَ البنزين منها، وأصبحنا بلا وقود، وبالضبط من بَعْدِ **قرية أچيو ستيفانوس - أتيكيس** حتى إلى **ساحة الدير هنا**، لقد قُدنا السيارة بدون وقود (بنزين) بتاتًا! **(قرابة ٢٢ كم)**.

ولكن مع «**صلوات وتضرعات الشيخ پورڤيروس**، **ساعدنا المسيح**. **لقد وصلنا**»! ولكن الآن كيف سنعود بالسيارة من حيثُ أتينا ؟

أخبرتها وقلتُ لها: أَسرعي واركُضي نحو الشيخ پورڤيريوس، ليقول لَكِ ما يجب فِعلُهُ. وفعلًا صَعِدَت الأخت كاسياني إلى فوق حيثُ قلَّاية الشيخ، وأخبرته بالتفاصيل التي حدثت معها. وبينما هي تروي قصّتها كان الشيخ پورڤيريوس يبتسم، فقال لها: «لقد رَشمتُك بعلامة الصليب، رَشمتُكِ من بعيد، وأيضًا رَشمتُ السيارة، ومَنَحتُكِ أيضًا إسفنجة ... واستمرَّ قائلًا: الآن إنزلي بسرعةٍ إلى أسفل لكي تُنظِّفي السيارة. ولكن الأخت كاسياني لم تفهم ما يقصده الشيخ تمامًا، ولكنها أطاعت أقواله ونفَّذت ما قد طلبه منها.

نَزِلت إلى ساحة الدير، وأجالت نظرها حول السيارة في كُلِّ الاتجاهات، وما أن وصلت إلى فتحة تعبئة الوقود (حاوية البنزين)، رأت أنَّ الوقود ينسكب من الفَتحةِ خارجًا، لقد كانت السيارة ملئ إلى فوق، والبنزين يفيض منها. الأمر الذي صَدَم الأخت كاسياني صدمةً كبيرة، فقد ذُهِلَت وصرخت قائلة: **إنّي رأيتُ بِأُمِّ عينيّ هذه العجيبة !!!** **وهذا ما يُذكِّرنا بعجائب كثيرة تحدث في الكنيسة، ومنها:**

١) **أيقونة العذراء العجائبيَّة إيليوڤريتيسا** **في دير ڤاتوبيذي العامر للرُّوم الأرثوذكس في جبل آثوس**، حيث امتلأت الأجرار بالزيت بعد أن نَفَذَ الزيتُ منها، **بشفاعات العذراء مريم**. **(الأيقونة موجودة في مخزن الزيت)**.

٢) الأربعمائة من حجاج بلاد الأرمن، الذين ضَلُّوا الطريق، فبلغوا إلى **لاڤرا القديس إفثيميوس**، حيث طلب إفثيميوس من تلميذه ذومتيانوس استضافتهم. فأجابه تلميذه: «ولكن لا طعام لنا ولا ليومٍ واحد». فقال له القديس: «اذهب يا بُنيّ وانظر كم تختلف أفكار الناس عن نعمة الله وقُدرته». فخرج التلميذ إلى المخزن؛ ولما رام فتح الباب لم يقدر، فطلب مساعدة، فجاء رهبان آخرون ليساعدوه فلما فتحوا الباب، **وإذا المخزن ممتلئ بالخيرات.** **- إنَّها مفاعيل الرُّوح القُدُس بالكنيسة.**

لا يوجد ما هو أَبْرَدُ من المسيحيّ الذي لا يهتمُّ بخلاصِ الآخرين.

لا يمكنك أن تتعلَّل هنا بالفَقرِ، لأنَّ التي ألقت فلسين في الخزانة ستلومك وتشتكي ضدَّكَ (لو ٢١)، وقال بطرس : «لَيْسَ لِي فِضَّةٌ وَلاَ ذَهَبٌ» (أع ٣:٦)، وبولس كان فقيرًا حتى أنَّهُ كان يجوع كثيرًا ويفتقر إلى الطعام الضروري.

ولا يمكنك أن تتعلَّل بوضاعة أصلك، لأنهم هم (الرُّسل) أيضًا كانوا رجالًا حقيري المولد.

ولا يمكنك أن تتذرَّع بافتقارك إلى قِسْطٍ من التعليم، لأنهَّم هم أيضًا كانوا عديمي العلم (أع ٤: ١٣).

وحتى لو كنت عبدًا بل وعبدًا هاربًا فيمكنك أن تؤدي دورك، فهكذا كان أنسيموس، لكن أنظر إلى ما دعاه إليه بولس وإلى أيِّ كرامة أعظم رفعهُ إليها، إذ يقول عنه لفيليمون: « لِكَيْ يَخْدِمَنِي عِوَضًا عَنْكَ فِي قُيُودِ الإِنْجِيلِ» (فل ١: ١٣).

ولا يمكنك أَنْ تتعلَّل بالمرضِ، لأنَّهُ هكذا كان تيموثاوس صاحب أوجاع كثيرة وينصحه بولس الرسول قائلًا: «لاَ تَكُنْ فِي مَا بَعْدُ شَرَّابَ مَاءٍ، بَلِ اسْتَعْمِلْ خَمْرًا قَلِيلًا مِنْ أَجْلِ مَعِدَتِكَ وَأَسْقَامِكَ الْكَثِيرَةِ.» (١ تي ٥: ٢٣).

كُلُّ واحدٍ يمكنه أنْ يفيد قريبه وينفعه، لو هو أدَّى الدَّور الذي عليه.

أَلَا تنظرون الشَّجر غير المثمر، كم هو قويٌّ وجميل، وأيضًا كبير واملس وله ارتفاع عظيم؟ لكن لو كان لنا بستان، فنحنُ نُفضِّل بالأولى أنْ يكون لنا أشجار رمان أو زيتون مثمرة، لأنَّ الأشجار غير المثمرة بهجةٌ للعينِ ومنفعتها ضئيلة. هكذا أيضًا هم اولئك الذين يهتمون فقط بمصالحهم الشخصية – لا بل مثل هؤلاء يصلحون فقط للهلاك، بينما تلك الأشجار مفيدة لبناء المنازل وإعطاء الأمان للذين بداخلها.

هكذا كانت أيضًا أولئك العذارى، عفيفات بالفعل، ومحتشمات، ومهذَّبات، لكنهن لم يفدن أحدًا (مت ٢٥)، لذلك تم هلاكهُنَّ.

هكذا أيضًا أولئك الذين لم ينعشوا المسيح (**في شخص الفقير والغريب والمريض والمسجون**). إذْ لاحظ أنَّهم لم يكونوا مُحمَّلين بخطايا خاصة بهم، مثل الزِّنى او الحنث بالقسم، بأية خطيَّة أُخرى سوى أنَّهم لم يكونوا مفيدين للآخرين.

هكذا كان الذي دفن وزنته، إذْ أنَّه في الواقع أظهر حياة لا لوم فيها، لكنه لم يكن مُفيدًا لغيرهِ. (مت ٢٥).

كيف يمكن لمثل هذا الإنسان أن يكون مسيحيًّا؟

قولوا لي لو أنَّ الخميرة لدى خلطها مع الدَّقيق لم تُغَيِّرَ العجين كلَّه إلى طبيعتها. فهل مثل هذا الشيء يمكن أنْ يكون خميرةً؟.

كذلك، العطر لو لم ينشر رائحته الحلوة على أولئك الذين يقتربون منه، هل يمكن أن ندعوه عطرًا؟.

لا تقل لي: «يستحيل عليَّ أنْ أستحث الآخرين لكي يصيروا مسيحيِّين»، لأنَّهُ لو كنتَ مسيحيًّا بالحقِّ، فإنَّهُ من المستحيل عليك ألَّا تفعل ذلك. لأنَّهُ كما أنَّ الخصائص الطبيعيَّة للأشياءِ لا يمكن حجبها، هكذا أيضًا فيما يخصُّ مسيحيَّتك. لأنَّ هذا الدور هو من الخصائص الطبيعيَّة للشخص المسيحيّ.

لا تهِنِ الله! إنَّ القول بأنَّ الشَّمس لا يمكنها أنْ تضيء، سيكون إهانة له. والقول بأن المسيحيّ لا يمكنه أنْ يعمل خيرًا معناه أنَّنا نهين الله وندعوه كاذبًا. لأنَّه من الأسهلِ على الشَّمس ألَّا تُعطي حرارة ولا أنْ تضيء، عن ألَّا يُرسل المسيحيّ أشعة نورهِ.

لا تقل لي إنَّ هذا مستحيل، بل العكس هو المستحيل. لا تهِنِ الله.

إذا رتبنا شئوننا الخاصة (الرُّوحيَّة) على نحوٍ صحيح، سوف تتبع الأمور الأخرى بالتأكيد كنتائج طبيعيَّة وضروريَّة.

يستحيل إخفاء نور الشخص المسيحيّ، مثلما هو مستحيل أنْ نواري نور مصباح مُضيء.

لذلك، ليتنا لا نتكاسل ونُهمل.

وكما أَنَّ المنفعة من الفضيلة تعود علينا، وللذين ينتفعون بها في احتكاكهم بنا، كذلك في الرَّذيلة توجد خسارة مضاعفة تعود علينا ولمن يتأذَّون منها. ليكن هناك إنسان عادي عانى إساءَات لا حصر لها من شخصٍ آخر، ولكن هو مع ذلك يرد الإساءات بأعمال صالحة، فأي تعليم يمكن أنْ يكون أقوَى من ذلك؟ أيَّةُ كلمات أو أيُّ وعظٍ يمكن أنْ تُعادله؟ أيُّ سُخطٍ وغَضبٍ لا يمكن أنْ يطفئه هذا السُّلوك؟

لنتمسك إذًا بالفضيلة، كمن هم عارفون ألَّا خلاصَ إلَّا باجتاز هذه الحياة الحاضرة في الأعمال الصالحة، لكيما نحصل أيضًا على الخيرات الآتية، بنعمة ورحمة **ربنا يسوع المسيح** الذي له مع **الآب والرُّوح القُدُس** المجد والإكرام والسلطان الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

سوفَ نشرح بكلماتٍ بسيطة أبيات المجدلة التي نُرتِّلها في كُلِّ سَحريَّة يوم أحد أو عيد، ونقرؤُها في السَّحريَّة اليوميَّة وغيرها من الخِدَم.

المجدلة هي مجموعة آيات من الكتاب المقدَّس، العهدين القديم والجديد، تُرَتَّل معًا في نهاية خدمة السَّحريَّة.

† الإله الثالوثيّ:

تبدأ المجدلة بتمجيد **الإله الثالوثيّ** الذي خَلَقَ نوره وأظهره.

«المجدُ لكَ يا مُظهِر النور. المجدُ لله في العُلَى وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرَّة. نُسَبِّحك نُبارِكك، نسجدُ لك نُمَجِّدك، نَشكُرك لأَجلِ عظيمِ جلالِ مجدِك. أيُّها الرَّب الملك، الإله السماوي، الآب الضابط الكُلّ، ويا أيُّها الرَّبُّ الابن الوحيد يا يسوع المسيح، ويا أيُّها الرُّوح القُدُس». نجد في هذه الآيات، ثلاث نقاط.

النقطة الأولى: هي أنَّ الله ثالوث، آب وابن وروح قُدُس. هذا ما نجده بشكلٍ ثابت في تعاليم الكتاب المقدَّس، وأيضًا في كُلِّ نصوص الكنيسة الليتورجيَّة. كُلُّ الصلوات إلى الله تنتهي باستدعاء **الله الثالوث**: « ... للآب والابن والرُّوح القُدس، الآن وكُلَّ أوانٍ وإلى دهرِ الداهرين». هذا وحيٌ من اللهِ نفسه، أظهره في نهر الأردن وعلى جبل طابور. كُلّ الأسرار تُتَمَّم باسم الله الثالوث. إنَّ التعليم عن الله الثالوث، الذي هو ثلاثة أشخاص لهم جوهر وقوَّة مشتركين، يعفينا من التوحيد كما من تعدُّد الآلهة، وأيضًا من التعليم بأنَّ هناك قوَّة مجرَّدة غير مرئيَّة هي التي خلقت العالم.

النقطة الثانية: هي أنَّ الله الثالوث هذا، خَلَقَ العالَم والإنسان. وكما نعلم، فإنَّ أوَّل شيء فعله هو خَلق النور. وهذا مكتوب في سفر التكوين: «وقال الله ليكن نور فكان نور». قبل خلق النور لم يَكُن هناك شيء، لم يَكُن هناك وجود، ظُلمة. أَظهَرَ لنا الله الثالوث النور الحقيقي، الذي هو معرفة الإله الحقيقي.

النقطة الثالثة: هي أنَّ هذا الإله يعيش في النور، النور الحقيقي. عندما رأى بعض القديسين المسيح المتجسِّد، كالتلاميذ الثلاثة على جبل طابور، وسمعوا صوت الآب، ورأوا الرُّوح القُدُس كسحابة مُشرِقة، رأوا مجد الله، أي نور الله. لأنَّ الله له مجدٌ عظيم، لذلك نحنُ نُرتِّل: **ونُباركه ونَعبده ونُمجِّده ونَشكُره**.

يمكن ملاقاة الله الثالوث في المجد والنور، بينما نحنُ مخلوقاته، بما نرتكب من الخطايا كُلّ يوم، في الظلمة الروحيَّة. ومع ذلك، فإنَّنا نتمتَّع بمحبَّته هذه، لأنَّه في كُلِّ يوم يُظهر لنا نور الشمس الحسيَّة التي تُنيرنا وتُدفئنا داخليًّا. لهذا، على الرغم من ضَعفاتنا المتكرِّرة، نشعر بالحاجة إلى شُكره وتسبيحِهِ.

لذلك، عند نهوضنا من النوم في كُلِّ يوم، من الظلام الذي نغرق فيه للرَّاحة من مَشاقِّ هذه الحياة العسيرة، يجب أن نُصلِّي إلى الله، ومن بين أُمور أُخرى نقول المجدلة، لنسبّحه لأنَّه أرانا نور الشمس الحسيَّة ليوم آخر، ولكن أيضًا نور محبَّته وطول أناته. بشكلٍ خاص يجب أن نفعل هذا كُلَّ يوم أحد. أن نستيقظ في الصباح ونذهب إلى الكنيسة، لنسمع، من جملة ما نسمعه، هذا التمجيد يُرَنَّم كنشيد انتصار، بحسب لحن اليوم أو **الدوكساستيكون**.

† تجسُّد الابن كلمة الله:

إذًا هذه المجدلة نُرتِّلها أو نقرؤها كُلَّ صباح في خدمة السَّحريَّة أو في صلواتنا الصباحِيَّة، عند نهوضنا من النوم، أَظهَرَ تحليل الآيات الأولى منها أنَّها تُشير إلى الله الثالوث، الذي أظهَرَ لنا النور العقلي والرُّوحي. سننظر اليوم إلى الآيات التالية التي تُشير إلى **تجسُّد الابن وكلمة الله**.

يظهر من هذا أنَّ كُلَّ صلاة تتمُّ بطريقةٍ خاصة، وفي كُلِّ صلاة يختبِىء لاهوت كامل. تُشير الآيات الثلاثة التَّالية من المجدلة إلى سرّ التدبير الإلهي:

«أيُّها الرَّبّ الإله، يا حمل الله، يا ابن الآب، يا حامل خطيئة العالم ارحمنا يا رافع خطايا العالم.. تقبَّل تضرعنا أيُّها الجالس عن يمين الآب وارحمنا. لأنَّكَ أنتَ وحدك قدُّوس، أنتَ وحدَكَ الرَّبُّ يسوع المسيح، في مجد الله الآب ، آمين.».

كما يتبيَّن، فإنَّنا نُشير هنا إلى المسيح ابن الله المتجسِّد لخلاص البَشَر. بعبارة «حمل الله»، تُذَكِّرنا المجدليَّة بتَضحِيَتِهِ على الصليب. لقد سُلِّمَ المسيح للاستشهاد، كما يقول النبيّ إشعياء، كَحَمَلٍ لا عيب فيه، أي أنَّ التضحية به تمَّت بإرادته، مع أنَّه لم يرتكب أيّ خطيئة. السَّابق الشريف (القديس يوحنا المعمدان) دعاه أيضًا حمل الله عندما أشار إليه لتلاميذه (تلاميذ يوحنا المعمدان). بعبارة: «**أيُّها الجالس عن يمين الآب**»، تُذكّرنا المجدلة بقيامة المسيح وصعوده، حتى أنَّهُ الآن بالطبيعة البشريَّة التي اتّخذها من العذراء يجلس عن يمين الآب وتُمجِّدُهُ الملائكة. أمَّا عبارة: « **أنتَ وحدك قدُّوس، أنتَ وحدَكَ الرَّبُّ يسوع المسيح، في مجد الله الآب**» مع صورة الحمل، فَبِهَا نتذكَّر سِرّ الشُّكر الإلهي. في نهاية القُداس الإلهي، بعد استحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه، وقبلَ المناولة المقدّسة، يهتف الكاهن: «القُدسات للقديسين»، نُعلن: «**قدوسٌ واحد، رَبٌّ واحد، يسوع المسيح لمجد الله الآب. آمين.**».

المسيح، بتجسُّده وتعليمه وآلامه وصليبه وقيامته وصعوده، أظهَرَ لنا محبَّة الآب الكبيرة وأيضًا محبَّة الله الثالوث بشكلٍ عام. فَخَلْقُ العالم وتجديدُهُ وخلاصُنَا هي قوَّة الله الثالوث. في الليتورجيَّا الإلهيَّة، يمكننا أن نعيش النور الحقيقي الذي هو الله، ونشعر بمحبَّتِهِ الحقيقيَّة التي هي قُوَّة الله، ونتأكَّد من السلام والبرّ اللذين هُما قوى الله الثالوث. كُلُّ الأشياء البشريَّة متغيَّرة ومُؤقَّته. الله هو الوحيد الذي يُرينا ويُعلن لنا حالة الخليقة الحقيقيَّة، وأيضًا حالة طبيعتنا.

عندما نعيش حقًّا جَوّ القُداس الإلهي، يمكننا أنْ نختبرَ ما هو الله وأنَّه يحبنا، حتى إلى الصليب، وما هو الإنسان والغرض من وجوده، ولماذا خَلَقَ العالم وكيف أُعيد خَلقه بتجسُّد ابن الله كلمته، ما هو الحاضر وما هو المستقبل، ما هو ملكوت الله، وماذا يجب أنْ نفعل للمشاركة فيه، مَنْ هُم القديسون وكيف يُمكننا أنْ نسير في طريقهم حتى نُصبح قدِّيسين.

اعتادَ أحد الرهبان وكان يحبّ القداس الإلهي أنْ يقول: « من الأفضل ألَّا تُشرق الشمس في اليوم الذي لا يُقام فيه قدَّاس». هذا صحيح ويعيشه أولئك الذين يفهمون كنز القداس الإلهي العظيم المُتاح لنا.

يا إخوتي الأحباء لا تنسوا الاشتراك في القداس الإلهي كُلّ يوم أحد، إذْ عدَم ذهابنا إلى الكنيسة يشبه العيش **في الظلام** دون رؤية نور الله. نحنُ نمجِّد الله حقًّا في القُداس الإلهي.

✝ حياةُ الصلاةِ اليوميَّة:

إنَّ الليتورجيَّا الإلهيَّة هي بتفوّق صلاة وتقدمة للهِ تقومُ بها الكنيسة، كُلَّ يوم أحد، في تذكار القديسين، وأيضًا في أيِّ وقت يجب القيام به. في الأديرة، وخاصة **في جبل آثوس**، تُقام يوميًّا.

ولكن إلى صلوات الكنيسة والقداس الإلهي، يجب على المسيحيِّين الصلاة يوميًّا. إنَّ الإنسان في الحقيقة كيانٌ مُصَلٍّ، إنَّه كائن يجب أن يُصَلِّي. في النهاية، لقد خلَقه الله على صورته ومثاله، فإنَّ النموذج الأوليّ لخليقته هو ابن الله وكلمته، الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، وهذا يعني أنَّه يجب أنْ يعود ويُشير إلى نموذجه الأوَّل. ألَّا يفعل ذلك يعني أنَّه فقد وجهَتَهُ.

هذا نجده في آيات الذكصولوجيَّا التي نُلقي عليها اليوم، والتي تتضَمَّن كلمة «**يوم**» وتُشير إلى الصلاة والحياة اليوميَّة.

بعد تمجيد الله الثالوث وتجسَّد ابنه، نعترف بأنَّه مركز حياتنا إذ نُرتِّل: « **في كُلِّ يومٍ أُبارِكُكَ، وأُسَبِّح اسمك إلى الأبد، وإلى أبد الأبد**». بعد أن شعرنا سابقًا بمحبَّة الله، نعترف الآن أنَّنا سنسبِّح اسمه يوميًّا، ولكن أيضًا لجميع الأدهار. حقًّا، إنَّ لاسم الله قوَّةً عظيمةً ومن يَدعوهُ ينال نعمة عظيمة وبَرَكة. هذا ما تمدحه الملائكة، وأيضًا القديسون في السماء. ذِكر اسم الله هذا هو العبادة والليتورجيَّا الإلهيَّة الوحيدة في زمن بعد المجيء الثاني للمسيح. وهكذا، عندما نمدح اسم الله كُلَّ يوم، سوف نكون مستحقِّين لأنْ نمدحه إلى الأبد.

في الآية التالية نطلب: «**أهّلنا يا ربّ أنْ نُحفَظ في هذا اليوم بغيرِ خطيئة**».

يميل الإنسان منذ صِغره نحو الشَّرّ، كما يقول الكتاب المقدَّس: « وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ.» (تك٦:٥)، لأنَّ في نفسه الميل إلى الابتعاد وقبول التجارب من إبليس مع الأهواء الموجودة فيه ،وفي عالم الخطيئة والظُّلم الذي يُحيط به. تتكرَّر الإهانات والإغراءات ويسقط الإنسان كُلَّ يوم. لا توجد طريقة لعيش يومٍ بلا خطيئة. يا لها من تجربةٍ مريرة؛ في هذه الحالة! كُلُّ يومٍ نُخزي أنفسنا ونحزن على ما نفعله ونقول: «هل فعلتُ ذلك؟ كيف أفعل ذلك؟» لذلك عندما ننهض من النوم نشعر بالحاجة لأنْ نطلب من الله أنْ يحمينا ويحرسنا حتى لا نُخطئ ولا نبتعد عن مشيئته ولا نفقد نعمته. بالنهاية، الخطيئة ليست مجرَّد إنكار لوصايا الله، بل هي ابتعاد الإنسان عن مصدر الحياة والنور الحقيقي، ما يدخِل الإنسان **في الموتِ والظلام**.

لا يستطيع الإنسان بإرادته وقُدُراتِهِ الصغيرة أنْ يتجنَّب الخطيئة تمامًا. لذلك يطلب حماية الله. نحنُ صغار وضُعفاء ونطلب المساعدة من نعمة الله. لذلك كُلَّ يوم وطوال اليوم فلنحمد اسم الله وَنُصَلِّ صلاة يسوع: «**يا ربِّي يسوع المسيح ابن الله ارحمني انا الخاطىء**»، حتى لا نُخطأ، بقوَّة اسم المسيح.

✝ إله آبائنا:

في الذكصولوجيَّا التي نرتّلها في نهاية خدمة السَّحَر، تمامًا كما تعني الكلمة نمجِّد الله لِعَظَمَتِهِ ونوره وما فعله للإنسان وَلِخلاصِه. وَتُفَسَّر لَفْظَةُ : «مُمَجَّد» بِ «مُبَارَك». لكن أنْ يُبارك الله الإنسان ويُرسِل نعمته شيء، وأنْ يُبارك الإنسان الله أيّ يُمَجِّده شيء آخر.

بالطبع، الله لا يحتاج إلى تمجيد الإنسان، لأنَّه لا ينقصه شيء، ولكن عندما يُمجِّد الإنسان الله ينتفع هو نفسه روحيًّا. تمجيد الله يسكُب على الإنسان نعمةً وبَرَكةً جليلة. لهذا السبب، يُعلِّم الآباء القديسون أنَّ صلاة التمجيد للهِ أقوَى من صلاة الابتهال. اليوم سوفَ نُحَلِّل آيةً ذات معنى كبير في الذكصولوجيَّا هي: «**مُبارَكٌ أنتَ يا ربُّ إله آبائنا، مُسَبَّحٌ ومُمَجَّدٌ اسمُكَ إلى الأبد، آمين.**».

هنا يوصَف الله على أنَّه إله آبائنا. في الواقع، نحن لسنا وحدنا على الأرض، ولسنا من أَبٍ مجهول ومستقِلٍّ عن الأجيال السابقة، لكننا أحفاد شخصيات عظيمة عاشت بحكمة ومحبَّة الله. الله ليست فكرة

مُجرَّدة ولا قيمة لها وحسب، بل هو إلهٌ مُحدَّد، ثلاثة أشخاص، وله جوهر وثلاثة أقانيم، وقد استعلن لآبائنا. إنَّه إله الأحياء أيّ الذين عرفوه وعاشوا حياته.

آباؤنا هم الأنبياء والأبرار في العهد القديم، الرُّسل والآباء والشُّهداء والمعترفون والقديسون والصالحون في العهد الجديد، الذين عرفوا الله شخصيًّا وشَهدوا له. نحن نعلم هذا لأنَّهم تركوا لنا نصوصهم وشهاداتهم. إذن، إلهنا ليسَ إلهًا مجهولًا وغير مختَبَر، بل هو إله إبراهيم واسحق ويعقوب والرُّسل وآباء المجامع المسكونيَّة والقديسين المعلومين مثل القديس بوليكاربوس والقديس ديمتريوس والقديسة پاراسكيڤي ... الخ ، إنَّه ليسَ إله الفلاسفة والمفكِّرين، بل إله آبائنا المجيد. هذا يعني إنَّنا لا نتأمَّل فقط في قضايا إيماننا ولا نرتجل ارتجالًا، بل نتَّبع خطوات وتأكيدات آبائنا الذين قدَّموا لنا شهاداتهم عن الله ومحبَّته.

هذا يُثبت أنَّ اسم الله كان مُمجدًا على مدى القرون. لقد أكَّدَ آباؤنا أنَّ اسم الله عظيمٌ ومُمجَّد، وبه تُهزَم كُلُّ **القُوى المُضادة**. ونحن عندنا التأكيد على قوَّة اسم الله. إذْ يذكر الكاهن اسم الثالوث يتحوَّل الماء إلى ماءٍ مُقدَّس وتتمّ معموديَّة الموعوظين ويُصبحون مسيحيِّين. باسم الله، تُتَمَّم كُلُّ الأسرار ومنها أسمى سرّ أي الإفخارستيَّا الإلهيَّة. اسم الله إذْ ندعوه نطرد أعداءنا. في النهاية، قال السيِّد المسيح لتلاميذه: «وَهذِهِ الآيَاتُ تَتْبَعُ الْمُؤْمِنِينَ: يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِي، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ جَدِيدَةٍ. يَحْمِلُونَ حَيَّاتٍ، وَإِنْ شَرِبُوا شَيْئًا مُمِيتًا لاَ يَضُرُّهُمْ، وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَبْرَأُونَ» (مرقس ١٦:١٧-١٨).

يجب أن نفهم أنَّنا ننتمي إلى عائلة كبيرة عاشَ فيها آباء الأجيال السابقة، وأيضًا أحفادنا القادمون سيعيشون. لا يمكن فصلنا عن حياة وتعليم آبائنا كما عبَّرت عنهم نصوصهم الشخصيَّة والمَجمَعيَّة. هذه النصوص هي «شهادات» الله، أي البراهين على وجوده. لا نتوقَّع أنْ نجد براهين منطقيَّة مُثبَتة على وجود الله في الفلسفة والعلوم، لأنَّ الدليل الوحيد على وجود الله هو كلمات قِدِّيسينا وحياتهم ومُعجزاتهم. وبالطبع، إذا وُجِدْنَا أنَّنا مستحقون لصلواتهم لاكتساب بعض خبراتهم، فعندئذ نكتسب إيمانًا شخصيًّا تجريبيًّا بالله.

استنادًا إلى تعاليم آبائنا، نحن واثقون من وجود الله ومحبَّته وقوَّة اسمه التي لا تُحدُّ من العظمةِ. فلنفهم ونستخدم هذا الكنز العظيم لاكتساب خبرتنا الشخصيَّة.

† رحمة الله:

إنَّ الله بإظهارِهِ ذاته لأنبياء وأبرار العهد القديم، كما للرُّسل والقديسين في العهد الجديد، عَرَّفَ الناس بعضًا من صِفاته، أي إنَّه مُحِبٌّ ورحيم وَخَيِّرٌ وعادلٌ... الخ. إنَّ الأسماء التي نعرف الله بها هو قِواهُ. أي أنَّ الله أظهَرَ، في بعض الأحيان، شفقته على الخطأة فأدركوا أنَّه رحيمٌ ومُحسنٌ.

لقد أظهَرَ المحبَّة وفهموا أنَّ الله مُحِبٌّ. كشَفَ الله في هذه الإعلانات للأبرار والقديسين أنَّه رحيم. لهذا السبب، عندما نطلب شيئًا من الله في الكنيسة، فإنَّنا نبرِّره: «لأنَّكَ إلهٌ رحيم ومُحبٌّ للبَشر وإليكَ نرفع المجد». هذا ما نعترف به، ولهذا نسأل في الآية من الذكصولوچيَّا: «**لتكُنْ يا ربّ رحمتك علينا كمثل اتكالنا عليك**». نحو نهاية الذكصولوچيَّا نجد الصلاة: «**فابسط رحمتك على الذين يعرفونك**». كلتا الآيتان تَدُلَّان على رحمة الله التي نسأله أن يُرسلها إلينا ويُبقيها علينا.

بادئ ذي بدء، نُؤكِّد هنا أنَّ رحمة الله أبديَّة لأنَّها نعمته، وأنَّها تُسكَب بِغِنًى على الناس. ثُمَّ نُؤكِّد حقيقتين عظيمتين، الأولى هي أنَّ رحمة الله تُسكب علينا بحسب رجائنا في الله، والثانية أنَّ رحمة الله تَبقَى على مَن يَعرف الله.

الرَّجاءُ والإيمان باللهِ شرطان أساسيَّان لكي يُرسِل رحمته. إذا كُنَّا لا نترجَّى ولا نُؤمن، فالله لنْ يرحم لأنَّه بالتحديد لا ينتهك حُرِّيتنا. نسأل الله بِ «يا ربُّ ارحم» ولكن رحمة الله علينا تكون بحسب إيماننا وصبرنا.

تظهر رحمة الله، أي نعمته، في حقيقة أنَّه بالرغم من أنَّنا، ونحنُ مخلوقاته، نَخْطَأ يوميًّا، إلَّا أنَّه كَأَبٍ مُحِبٍّ لا يُعاقبنا بل يغفر لنا: «ولا بحسبِ خطايانا جازانا» (مز ١٠٢:١٠)، وينتظرنا ويرعانا، لأنَّه يُريد عودتنا. نحن نعيش هذا كُلّ يوم، لهذا السبب نُردِّد في مكان آخر: «ورحمتك تُظَلِّلُني جميع أيام حياتي» (مز ٢٢:٦). ماذا نكون نحنُ بدون رحمة الله ومحبَّته!

لكن رحمة الله تتجلَّى ليس فقط في تَسامُحِهِ عندما نُخطئ، بل أيضًا في ازدياد محبَّته لنا عندما نُحبّه نحن. العلاقة مع الله علاقة محبَّة. عندما يكشِف لنا مجد وجهه، تزداد محبتنا له ونريد أنْ نرى المزيد من المجد، لذلك نطلب مِنَ الله أنْ يبسط رحمته. نُدرك أحيانًا أنَّ حياتنا ليست كما يريدها الله ونطلب امتدادًا لمحبّته ورحمته.

هذا الامتداد لرحمة الله لا يتجلَّى إلَّا للذين يعرفونه، لذلك نُردِّد: «**فابسط رحمتك على الذين يعرفونك**». مَن لا يعرف الله ينسِب إليه كُلّ المواقف السلبيَّة والبغضاء والشَّرّ والانتقام وما إلى ذلك. ولكن الله محبَّة ورحمة.

رحمة الله أي نعمة الله تحمينا وتُساعدنا على عدم الخطيئة، على الأقل كي لا نقع في خطايا مميتة ولا نبتعد عنه. إذا رفع الله رحمته عنَّا، قد نرتكب أكبر الخطايا بالأهواء التي فينا. لكن حكمة الله تغفر لنا عندما تقودنا انحرافاتنا إلى الارتداد عنه وإلى ارتكابات كثيرة.

لذلك يجب أن يكون دُعاؤنا كُلّ يوم: «**فابسط رحمتك على الذين يعرفونك**».آمين.

يَا طَالِبَ ٱلْعِلْمِ بَادِرِ ٱلْوَرَعَا وَهَاجِرِ ٱلنَّوْمَ وَٱهْجُرِ ٱلشَّبَعَا
يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنْتُمْ عُشْبٌ يَحْصُدُهُ ٱلْمَوْتُ كُلَّمَا طَلَعَا
لَا يَحْصُدُ ٱلْمَرْءُ عِنْدَ فَاقَتِهِ إِلَّا ٱلَّذِي فِي حَيَاتِهِ زَرَعَا

يا شعوب الأرض لا تتركوا أنفسكم تُسحقون بقسوة الحياة، صارعوا فقط ضدَّ الخطيئة واطلبوا معونة السيِّد، وهو سيمنحكم ايَّاها، لانه رحومٌ ومحبٌ للبَشَر.

القديس سلوان الآثوسي

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

أسقف المدن الخمس

سوتوس خوندروبولوس

الفصل الخامس والعشرون

«وَلَيْسَ لَنَا فِي هذَا الزَّمَانِ رَئِيسٌ وَلاَ نَبِيٌّ وَلاَ قَائِدٌ وَلاَ مُحْرَقَةٌ وَلاَ ذَبِيحَةٌ وَلاَ تَقْدِمَةٌ وَلاَ بَخُورٌ وَلاَ مَوْضِعٌ لِتَقْرِيبِ الْبَوَاكِيرِ أَمَامَكَ، وَلِنَيْلِ رَحْمَتِكَ. وَلكِنْ لاِنْسِحَاقِ نُفُوسِنَا وَتَوَاضُعِ أَرْوَاحِنَا اقْبَلْنَا. وَكَمُحْرَقَاتِ الْكِبَاشِ وَالثِّيرَانِ وَرِبْوَاتِ الْحُمْلاَنِ السِّمَانِ» (دانيال٣:٣٨-٣٩).

ملحوظة: (الآيات من ٢٤-٩٠ - وهي تسبحة الثلاث رجال في أتون النار كما جاءت في ترجمة تاودوسيون، غير موجودة في الترجمات الجديدة التي تصدرها دار الكتاب المقدس «جمعية نور المسيح»).

كانت كريزَنتيا الضَّريرة وصديقتها كاترينا على استعدادٍ تام لإلقاء مرساتهما. فجاءَتا إلى نكتاريوس طلبًا لبَرَكَتِهِ، ثمَّ سافَرَتا مباشرة إلى إيچينا. وقد تدَبَّرتا في البداية أمر مكوثهما عند بعض معارفهما من نساءِ إيچينا، بانتظار أن تَقْطُنا فيما بعد في منزل مادلين الأرملة.

وقد ذَهبَ نكتاريوس ثلاث مرَّات إلى شارع فيلوتيي طالبًا مقابلة ثيوكليطس، متروبوليت أثينا الذي خَلَفَ پروكوپس. وكان مُزمعًا أن يطلب الإذن الرسمي من أجل إعادة بناء الدير القديم.

منذ أيام كان قد بدأ الصلاة في كنيسة المدرسة. وكان يُصلِّي من أعماق قلبه، وفي النهاية التجأ كعادتهِ إلى **الكليَّة القداسة** لكي تتشفَّع من أجلِ تحقيق هذا الهدف. وعندما كان يعجز عن الخلودِ إلى النوم، كان يتناول ورقة وقلمًا ويكتب بعض الأناشيد.

« يا والدة الإله الكُلِّيَّة الطُّهر والأُم المباركة،
أنتِ المُمَجَّدة من الأجناد الملائكيَّة،
والكتاب الذي خَطَّه الله،ومَدَحَهُ آباؤُنا،
مَجد الرُّسل وفرح الآباء المتوشِّحين بالله ...»

وفي إحدى الأُمسيات في بداية تشرين الأول من عام ١٩٠٤، حين كان يؤلّف التالي:

« يا والدة الإله العذراء، إفرحي يا مريم الممتلئة نعمةً ...»

فوجِئَ بطَرَقَات خفرة على باب غرفته، وكان الطارق كوستي ساكوبولوس. فسأله بقلق:

ـ ماذا يحدث يا كوستي؟ هل من خطب؟

ـ كلَّا يا صاحب السيادة والحمدُ للهِ.

ـ إذن ما الأمر؟

ـ « يجب أن أعترف لكَ بأنني أُراقبك منذ مدَّة، ولا أعرف كيف أُعبِّر عن إحساسي، ولكني جَزِعٌ وقَلِقٌ.

ـ « لماذا يا ولدي العزيز؟».

ـ « لأنَّكَ كنتَ مُتعبًا بالأصل بسبب واجباتك في المدرسة ومُشكلات الناس، وكُلُّ الشَّعب الذي يحيطك ويأتيك من المدينتين، إلى جانب القداديس الإلهيَّة والمواعظ، والخِدَم التي يوكلها إليك المجمع المقدَّس والتي تزيد عدَدًا يومًا بعد يوم ... وكأنَّ كُلَّ ذلك لا يكفيك، فقد جلبتَ لنفسِكَ هموم إيچينا أيضًا. فماذا سيحصل بِكَ الآن؟، لقد أَكَّدَ لي طبيب المدرسة بأنَّ صحَّتك مُنهكة، وأنَّ الشيخوخة على الأبواب، وأنَّ ...

ـ ألهذا السبب لم تستطع النوم حتى هذه الساعة يا كوستي؟ ولهذا السبب جئتَ إِلَيَّ في خُلوتي؟

ـ إنِّي أسألك المغفرة يا سيِّدي، ولكن ...

ـ « اسمع يا ولدي كوستي: لقد تأسَّست كنيستنا من قِبَل الثالوث القُدوس. وعندما تُفتَح أبواب السماء، تهبط علينا الحسنات الإلهيَّة. ولكن المؤسِف أنَّ نكباتٍ كثيرة أصابت كنيستنا: إذ لم يَعُد من وجود لأمثال القديسين باسيليوس الكبير ويوحنا الذهبيّ الفم وغريغوريوس ... ولا ثيودوروس الأستوديتي ولا باخوميوس ... إنَّها اليوم ضعيفة ولا قوَّة لها لاجتذاب الخطأة إليها. تخيَّل في نفسك المسؤوليَّة التي ستقع على عاتقي أمام الله المُحسِن إلَيَّ، لو أَنِّي أصبحتُ بطريركًا؟ لِحُسن الحظِّ أنَّ لكُلِّ إنسان مكانه! إنِّي أبكي وأتحَسَّر على نقص الأديار الحقيقيَّة، وأتألَّم في العمق بسبب تدهوُر **أديار جبل آثوس**. وقد صلَّيت اليوم من كُلِّ قلبي إلى الرَّبِّ وقلتُ له: أنتَ تعرف يا إلهي إنِّي لا أملُك القوَّة ولا السُلطة لتأسيس الأديار التي هي المراكز الرُّوحيَّة لكنيستنا الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة. ولكن الظروف شاءت أخيرًا أنْ أتعهَّد بِضع فتيات بالإرشاد الرُّوحي، وأرغب بأنْ أهديك ديرًا مُقدَّسًا للعذارى في إيچينا، وهي تقدمة شبيهة ببعض الاخضرار وقليلًا من الأزهار البريَّة. فإذا قبلتَ تقدمتي هذه، فأرجوكَ أن تُعرِّفني قرارك. سوفَ أعرفه من خلال قرار متروپوليت أثينا. فإذا عارضَ الأمر عرفتُ بأنَّكَ لم تقبَل مُحاولتي المتواضعة، وأنَّها لم تَحُز رِضاكَ. ولكني أتضرَّع إليكَ أن تسهر على هذه الفتيات المسكينات البريئات.».

فقاطعه كوستي قائلًا:

ـ يا صاحب السيادة، هل عند هذه الفتيات المال لتشييد ديرهُنَّ؟

ـ لا تشغل بالك بهذا يا كوستي، فالرَّبُّ سيتدبَّر الأمر. ولقد علمتني الخبرة حتى الآن أنَّ الأعمال الروحيَّة المرتكزة على الوسائل الماديَّة أو القُدرات الإنسانيَّة لا تتحقَّق.

(يتبع)

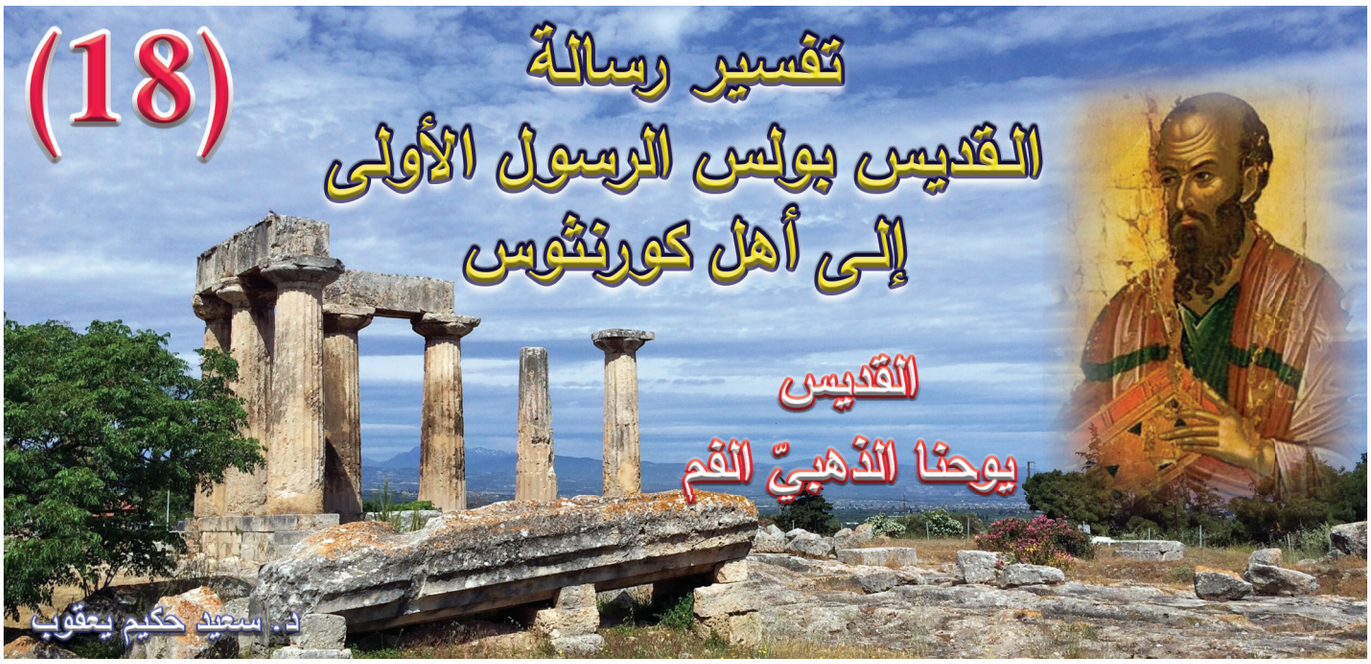

الإصحاح الثاني

العظة السابعة (١كو٢:٦-١٦)

«لأَنَّهُ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ فَيُعَلِّمَهُ؟» وَأَمَّا نَحْنُ فَلَنَا فِكْرُ الْمَسِيحِ.» (١كو٢:١٦). **(تتمة من العدد السابق).**

٩ – أخبرني إذًا، حين يحتقر أحدٌ أُمور العالم الحاضر، ويُؤمن بأنَّ الفضيلة هي أمرٌ عظيمٌ، وأنَّه لا يطلب المكافآت في هذه الحياة الحاضرة، بل يترجَّى المجازاة في حياة الدهر الآتي، وحين يحمل نفسٌ مليئة بالإيمان، وواثقة ومتأكِّدة من النهاية التي ستؤول إليها، حتى أنَّ لا شيء من كوارث ومصائب هذه الحياة الحاضرة يمكن أنْ تثنيه عن رجائه في الحياة الأبديَّة، أَلَا يُظْهِرُ كُلُّ هذا مقدار الحكمة السامية التي له؟ لكن هل تُريد أنْ تعرف القُوَّة، والحقيقة، والوعود، والنبُّوات التي قيلت قبل وبعد هذه الأمور؟ إنتبه إلى الدقَّة الشَّديدة من بداية التفكير في عمل السلسلة الذهبيَّة. لقد تكلَّمَ الرسول بولس وقدَّمَ لهؤلاء بعض الأمور عن نفسه، وعن الكنيسة، وَعَمَّا سوفَ يحدث، وتحدَّث بعجائب. هكذا بات من الواضح أنَّ المعجزات هي أمورٌ حقيقيَّة، وأنَّ الوعود الخاصَّة بحياة الدهر الآتي هي حقيقة أيضًا، وهذا يُظهِر أنَّ ما بَشَّرَ به قد تحقَّقَ.

الأحداث ذاتها سوفَ تُبرهن على أنَّ ما أقوله هو أمرٌ يتَّسم بالوضوح الشَّديد. لقد أقام المسيح لِعازَر، بكلمة واحدة، وأعادَهُ حيًّا مرَّةً أُخرى.

قالَ أيضًا: أبواب الجحيم لنْ تَقوى على الكنيسة: «وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا.» (متى ١٦:١٨)، وأنَّ: «... مَنْ تَرَكَ بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولًا مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ.» (متى ١٩:٢٩). إذًا فمُعجزة إقامة لِعازر كانت واحدة، أمَّا المعجزة المتعلِّقة بتحقيق النبوَّة الخاصة بالكنيسة، فهي اثنان، واحدة متحقِّقة في الحياة الحاضرة، والأُخرى سَتحَقَّقُ في الدَّهر الآتي. إنتبه إذًا، أنَّ المقولات والأحداث قد تُبرهن عليها، الواحدة تلو الأُخرى. بمعنى لو أنَّ أحدًا لم يُصَدِّق أنَّ لِعازر قد أُقيم من الموتِ، فليؤمن ويُصَدِّق المعجزة الخاصة بالنبوَّة التي قيلت عن الكنيسة، بمعنى أنَّ ما قيل منذ سنوات طويلة، قد تحقَّق، أي أنَّ أبواب الجحيم لن تَقوى عليها. **(ملحوظة: عاش القديس يوحنا الذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م، وكانت الكنيسة منتشرة في كلّ الامبراطوريَّة الرُّومية)**، فما تبرهن بالنبوَّة على أنَّه حقيقي، من الواضح جدًّا أنَّه سيتحقَّق أيضًا من خلال النبوَّة المتعلِّقة بحياة الدَّهر الآتي، وذلك عندما يقول: إنَّ من يحتقر أُمور العالم الحاضر، سيأخذ مئة ضعف، وسيرث الحياة الأبديَّة. أي أنَّ ما فعله وقاله، قد أعطاه كضماناتٍ ثمينة وعربون لحياة الدَّهر الآتي.

إذًا فكلُّ هذه الأمور وما يُشابِهُهَا، بعدما نجمعها من الأناجيل، فَلنَحصُرها أمام هؤلاء (اليهود)، ولنسدَّ أفواههم بها. ولو أنَّ أحدًا تساءل قائلًا: لماذا لم يَختَفِ الشرّ والخداع تمامًا ؟ فيمكننا أن نُقَدِّم له هذه الإجابة على النحو التالي:

إنَّ السبب في ذلك يعود إليكم أنتم الذين قاومتم خلاصَكم بِشِدَّةٍ، لأنَّ الله قد دبَّرَ كُلّ الأمور هكذا، حتى لا يبقى أي جحودٍ أو كُفرٍ. فلنوجز ما قُلناه. ما هو الأمر الذي يتوافق مع طبيعة الأشياء؟.

هل ينهزم الضعفاء من الأقوياء أم العكس؟.

هل ينتصر أولئك الذين يتكلَّمون بالأمور السهلة، أم الذين يتكلَّمون بما هو أصعب؟.

هل الذين يجذبون الناس، هم الذين يواجهون الخطر، أم الذين يصنعون هذا وهم يشعرون بالأمان؟.

هل أولئك هم الذين يصنعون تجديدًا، أم أولئك الذين يتمسَّكون بالإبقاء على العادات القديمة؟.

هل الذين يقودون الناس إلى الطريق الصعب، أم الذين يقودونهم للطريق السهل؟.

الذين تركوا تقليدات آبائهم، أم الذين يَنشرون قوانين معتادة؟.

الذين يَعِدون بخيرات الدَّهر الآتي بعد الرَّحيل من هذه الحياة، أم الذين يُنافقون الناس في هذه الحياة الحاضرة؟.

هل ما يتفق مع طبيعة الأمور أنْ يُهزم الكثيرون منْ قليلين، أم يُهزَم القليلون من كثيرين؟.

لكن قد يقول البعضُ، وأنتم أيضًا قد قدَّمتم وعودًا متعلِّقة بالحياةِ الحاضرة؟. لكنَّني أتساءل وما هي هذه الوعود؟ إنَّها وعود متعلَّقة بغفران الخطايا، وحميم التجديد (بالمعموديَّة). والمعموديَّة على وجه التحديد لها النصيب الأكبر، فيما يتعلَّق بالمجازاة في حياة الدَّهر الآتي. يقول الرسول: «لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ. مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ فِي الْمَجْدِ.» (كولوسي ٣:٣-٤). فإنْ كان هناك خيرات في هذه الحياة الحاضرة – وبالتأكيد يوجد خيرات – ومن أجل هذا تحديدًا يجب أنْ نندهش وبِشِدَّة، لأنَّ الرُّسل استطاعوا أنْ يُقنعوا أولئك الذين عملوا شرورًا لا حدَّ لها، والتي لم يعملها أحدٌ آخر، أنَّهم سيتنقُّون منْ جميعها، ولن يُعطوا حِسابًا عن أيٍّ منْ هذه الخطايا التي فعلوها، ماداموا قد قَبِلوا الإيمان وعاشوا **للمسيح**.

حتى أنَّه منْ أجل هذا فقط، كان ينبغي لنا أنْ ننذَهِل، أنَّهم أقنعوا البربر بقبول مثل هذا الإيمان، وأنْ يترجَّوا خيرات الدَّهر الآتي، بعدما يتخلصون مِنْ ثِقَلِ خطاياهم السَّابقة، وأنْ يقبَلوا المتاعب برغبَةٍ كبيرة، حتى يستطيعوا أنْ يَحيَوا بالفضيلة، وألَّا يَظَلُّوا مُنجَذِبين للأمورِ الماديَّة، بل بعدما يرتفعون فوق كُلِّ الأمور الجسديَّة، أنْ يَقبلوا العطايا الروحيَّة. لقد أقنعوا **الفارسي، والصيني، وذوي البشرة السمراء، والهندي**، أنْ يختبروا نقاوة النَّفس، وقوَّة الله، ومحبَّته غير الموصوفة للبشر، وحكمة الإيمان، وحلول الرُّوح القُدُس، وكيفيَّة قيامة الجسد، والعقائد الإيمانيَّة المرتبطة بالحياةِ الأبديَّة، أو حياة عدم الموت (الخلود). كُلّ هذه الموضوعات، بل وأكثر منها، استطاع الصيَّادون أن يُقنعوا بها **جنس البربر**، بأنْ يعتَمِدُوا ويعيشوا بالحكمة.

وبعدما نحفظ كُلّ هذه الأمور بدقَّةٍ، لنتكلَّم بها لهؤلاء، ونُعطي دليلًا من خلال سلوكنا وطريقة حياتنا، حتى نُحقِّق الأمرين، أنْ نَخلُص نحنُ، ونَجذب هؤلاء لمجد الله، لأنَّهُ يليق به المجد إلى الأَبدِ آمين.

(يتبع في العدد القادم)

القديس سمعان من دياباي – مختارات من تعاليمه

ولد القديس سمعان بوبوفيتش سنة 1854 في سيتيني التي كانت العاصمة الملكيَّة للجبل الأسود (مونتينيغرو). أنهى تعليمه الابتدائي في سيتيني ودرس لاحقًا في المعهد الإكليريكي في كييف ومن ثم في أكاديميتها الروحيَّة. هناك، سيمَ كاهنًا راهبًا. في 1888 عاد إلى سيتيني حيث خدم في دير القديس نيقولاوس في فرانجينا وبعد عام انتقل إلى دير أوستروج حيث حاضَرَ في مدرسته الرهبانية.

رأى الأرشمندريت سمعان رؤيا على أساسها بدأ ببناء كنيسة في موقع دير دياباي الحالي في أواخر القرن التاسع عشر. هناك قضى بقية حياته معلّمًا وراعيًا. رقد الأرشمندريت سمعان بالرب في 1 نيسان 1941

تمَّ الكشف عن رفاته الجليلة بعد خمس وخمسين عامًا من وفاته، أي عام 1996 في دير دياباي حيث إلى اليوم يجمع تذكار رقاده كل عام أعدادًا كبيرة من المؤمنين يتقدمهم الأساقفة. أعلنت الكنيسة الصربيَّة قداسته في نفس اليوم في 2010 مع القديس يوستينوس بوبوفيتش معلم العقائد الصربي الكبير.

ما نفع المصباح في وجود الشمس؟ وما فائدة المجد الأرضي بوجود مجد السماء؟ تجاهلوا الصغرى حيث توجد الكبرى، فهي حكيمة ومفيدة.

خيمة الجيش تؤوي الجنود من المطر والحرّ، كما يحمي الصمتُ المسيحيَ في حياته من الدينونة والأكاذيب.

كما أنَّ النبيذ يكون أفضل عندما يعتق، كذلك عندما تكون الكلمات مدروسة جيِّدًا تكون أكثر فائدة.

عندما تكون غرفتك دافئة بالفعل، تجنّب فتح الأبواب كثيرًا. لذا، إنْ كان الرُّوح القُدُس في داخلك، تجنَّب كثرة الكلام.

احمِ المرآةَ من الغبار وضميرَك من الخطيئة، حتى يُبَلِّغَاكَ كلاهما بأمانة: المرآة عن وجهك وضميرُك عن أفعالك.

كم أنَّ صناعة نَبِيذ العَسَل تكون أسهل عندما يتوفَّر الكثير من العسل، كذلك يكون إنقاذ الرُّوح أمرًا سهلاً عندما يتواجد خوف الله.

كما لا يستطيع الخيَّاط الخياطة أثناء الحركة، لا تتقدم الرُّوح عندما يكون المرء مستلقيًا. يجب أنْ يجلس الخيَّاط، وأنْ يُضَحِّي المسيحيّ.

الزيتون يفضِّل المناخ الساحلي بينما الرُّوح تفضِّل الشَّركةَ الوَرِعة.

من الأسهل أنْ يرقص عجل ذو ثلاثة أشهر، منْ أنْ يرقص ثور أكبر سنًا. وبالمثل، فإن خلاص روحِ رجلٍ يملك ثلاثة أفدنة من الأرض، أسهل من خلاص رجلٍ غنيٍّ يملك ضيعة كبيرة.

كما أنَّ المظلَّة ضرورية للمطر، كذلك التواضع للرُّوح. تُشترى المظلة بالمال، بينما التواضع يُكتسب بالتأمُّل.

كما أنَّ خياطًا مخمورًا يفسِد الملابس، تفسِد المحادثةُ الفارغة الرُّوحَ.

الحجل في القفص يشتاق إلى الغابة وإلى الحريَّة، بينما النفس الخاطئة تشتاق إلى الله والحياة الأبديَّة.

لا تخفوا الحقيقة عن الأولاد، ولا تخفوا ذكرى الموت عن روحكم. يكون الأولاد أكثر في سلام، وتصبح الرُّوح أكثر تقوى.

يرسم البعض إشارة الصليب فقط عندما يضرب البرق، بينما يتذكر البعض الآخر الموت فقط عندما يرون ميتًا. إرسم علامة الصليب بدون البرق، وتذكّرْ الموت دون الحاجة إلى رؤية الموتى، وعندها سترتكب خطايا أقلّ.

كُلَّما جنحَ الذِّهنُ إلى الاعتدادِ بالذَّاتِ، وتورَّط فيه متصورًا في تحمُّسه أنَّهُ شيءٌ، انسحبت منه حالًا النعمة التي كانت تُنيره بصورة منظورة، وتركته مُقفرًا. فيتلقَّى للتوِّ برهان ضعفه إذ تنقضُّ الأهواءُ عليه مثل كلاب بريَّة محاولةً أنْ تبتلعه. فيرتبك وليس له موضعٌ يهرب إليه لينجُوَ، فيلجأ بالاتضاع إلى منْ يقدر أنْ ينقذه: إلى الرَّبِّ.

عدمُ اشتهاءِ شيءٍ منْ مطرباتِ العالم وملذَّاته، يختلف عن ٱبتغاء الخيرات الأبديَّة وغير المنظورة. هذا شيءٌ وذاك شيءٌ آخر. لأنَّ كثيرين يرذلون الأولى، ولكن قليلون جدًّا يهتمون بالثانية.

إنَّ كان الهرب من مجد الناس. «لأَنَّهُمْ أَحَبُّوا مَجْدَ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ مَجْدِ اللهِ.» (يو١٢:٤٣)، وعدم السَّعي إليه حسنًا، فالتَّعلُّق بمجد الله شيءٌ آخر. والفرق كبير بينهما، فإنَّ كثيرين قد نبذُوا المجد الأوَّل لأنَّ أهواءً أُخرى ٱستولت عليهم، ولكن قليلون جدًّا ٱستحقوا الثاني بكثرة تعبهم، لأنَّهُم جَدُّوا وتَفَانوا كثيرًا.

إنَّ الاكتفاءَ بلباسٍ بسيطٍ وعدم ٱبتغاءِ لباسٍ بهيٍّ شيءٌ، وٱرتداءُ نورُ الله شيءٌ آخر. هذا شيء وذاك آخر. فإنَّ البعض تَجاذَبتهُم مُشتهيات كثيرة، فأهملُوا بسهولةٍ ٱبتغاء لباسٍ بهيٍّ. لكن لا يلبس نور الله سوى الذين يسعون إليه دون ٱنقطاعٍ، متجشِّمين أتعاب التوبة الكثيرة، وقد غَدَوْا بني النُّور والنَّهار. (١تس ٥:٥)، بحفظهم للوصايا.

أنْ تتكلَّم باتضاعٍ شيءٌ وأنْ نكون متَّضعين شيءٌ آخر، ثُمَّ التواضع شيءٌ و زهرة التواضع وثمرته شيءٌ آخر. و أخيرًا جمال هذه الثمرة شيءٌ ولذَّة جمالها شيءٌ آخر، وآخر أيضًا طاقتها، وإنَّ بعض ما ذُكِرَ في مقدورنا هو أنْ نذكُر كُلَّ ما يقودنا إلى التَّواضع ونقصده ونقدره ونفعله، أما المتواضع المقدَّس مع موكب المواهب والطَّاقات الخاصة به فهو عطيَّة من الله. لا يأتينا من لدُنِنَا ولنْ يستحقه أحدٌ يومًا إنْ لم يبذُل أولًا كُلَّ ما في وسعه على وجهٍ كامل.

عدم ٱغتياظنا للشتائمِ والمحنِ والأحزانِ حسنٌ، ارتضاؤنا ايَّاها شيءٌ والصَّلاة من أجل مُسبِّبها شيءٌ آخر: «وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ» (متى٥:٤٤) ، أن نحبهم من عمق النَّفس شيءٌ وأنْ نزيد على ذلك بأن يرتسم فينا وجه كُلٌّ منهم وأنْ نقبلهم كأصدقاء حقيقيِّين، بدون أيِّ أثرٍ لأيِّ مضضٍ شيءٌ آخر، وأجمل من هذا كلِّه أنْ نبقى أثناء المحبَّة عينها على موقفٍ واحدٍ ثابتٍ خالٍ من القلقِ إزاء منْ يشتموننا في وجهنا ويتهموننا ويحكمون علينا ويسفِّهوننا ويبصقون علينا، أو حتى إزاء الذين يبقوُنَ على مظاهر الصَّداقة لنا، ولكنَّهم يسلكون في الخفاءِ مسلك الآخرين نفسه غير قادرين على إخفائهِ تمامًا، وأخيرا أنَّ الفعل الأكثر ثوابًا والفائق التشبيه هو، على ما يبدو لي، أنْ نستتر بالنسيان الكامل ما عانيناه وألَّا نذكر شيئًا مما حدث سواء في حضرة مضايقينا أو في غيابهم، وأنْ نقابلهم هم أيضًا كأحباء في اللقاءات والولائم بدون أية دعوة إلى الماضي.

ذِكْرُ الله، غير حبِّهِ، و كذلك مخافته غير حفظ وصاياه. إلَّا انَّ هذه كلِّها، وإنْ اختلفت، تجتمع معًا في الكاملين الذين بلغوا اللآهوى.

الامتناع عن الخطيئة شيءٌ و حفظ الوصايا شيءٌ آخر. فحفظ الوصايا خاصةً للذين يجاهدون ويعيشون إنجيليًّا. أما عدم الوقوع في الخطيئة فهو فقط للذين بلغوا إلى تخوم اللآهوى.

ليست الغربة الحقيقيَّة اعتزال العالم بالانتقال من مكانٍ إلى آخر، هذا شيءٌ وتلك شيءٌ آخر. فالانتقال من مكانٍ إلى آخر يلائم المجاهدين حين يدفعهم إليه إمَّا إقصاء الكسل وعدم ثبات الذِّهن أو مزيدُ منَ الحرارة لرغبتهم في حروبات روحيَّة أشدُّ. أمَّا الغربة فهي شأن الذين صلبوا انفسهم للعالم ولما في العالم (غلا ٦ : ١٤)، غير طامعين إلَّا إلى العيش مع الله وحده، وملائكته على الدوام دون أية رجعة إلى أمور الناس.

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح
المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح
كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html
لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
IBAN: IL480127260000000111122